تلك الفريسة

نجوى شعراوي

شعراوي، نجوى.

تلك الفريسكا. تأليف/ نجوى شعراوي.

التصنيف : مجموعة قصصية

٢١ سم ، ١٥٢ ص

تدمك : ٢- ٨ - ٨٥٧٠١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

تدقيق لغوي وإخراج فني وتصميم الغلاف

يوريكا لخدمات النشر

01288627690

eureka4publishing@gmail.com

بالتعاون مع

دار المثقفون العرب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

رقم الإيداع : ٩١٥٩

جميع الحقوق محفوظة و يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابى صريح من الناشر

إهداء

إلى ملهمتي التي هدتني السبيل ...

التي صارت تردد اكتبي صغيرتي، حتى لو من اليسار إلى اليمين..

إلى المخلصة الصديقة الصدوقة "باكينام بولند"

إلى ميراثي من تركة علي، والحنين.. أخت بنكهة صديقة..

وصديقتي التي بنكهة القرفة والقرنفل والمستكة والكثير من الحب

والقليل من الحبهان

إلى المختلفة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ..

فهي بكرية العين والروح والقلب..

شباك الحياة وحديقته، بل وسكنه..

هي منّي وإليّ..

چيهان على شعراوى

رسائل علي

سلامًا سلامًا عليك وعلى روحك يا حبيبى، حنينًا أم شوقًا لا أعرف، أم إنها إحدى رسائل رثائي إليك، كنت حكيمًا عبقريًا موهوبًا، يا رقيق القلب، كنت تفهم ما فى نفسي، ولا تقسو عليّ أبدًا مهما كلّفك الأمر من عناء يا صاحب الكبرياء، كنت تحتويني، بل تستوعبني وتستوعب شطحاتي، وبالأكثر طموحاتي العريضة وأسئلتى التي لا تنضب، فليس كل ما يقال يقال باللسان.. هذه هي مدرستك، بل إنها أول مهاراتك أنت!.كنت ملك لغة العيون يا «عـــلي».. كيف لك أن تفك شفرات كل من هو أمامك؟.. وكيف كنت تتحمل ثرثرتي إليك؟.. وكيف كنت تتحمل إلتصاقي المستمر بك دون حتى أن تنفر؟.. كيف جعلك الحب غير المشروط؟.. جـــميلًا كاملًا مكـــمّلًا في التعامل مع أبسط الأمور إلى أصعبها واستيعاب كل من حولك.

كيف كنت لي معطاءًا عطوفًا لهذه الدرجة؟.. ماذا كانت يا ترى حساباتك؟.. وكيف كنت تضحك؟.. حتى وأنت بداخلك عالمًا لا يعرف عنه الكثير!!

كيف كان وقع حكاياتك عليّ يا «عـــلي»؟.. كانت مبهرة للعقل قبل القلب، يا أجمل من علاء الدين، وبطلًا كما صلاح الدين.. يا من كنت لى الدنيا والدين.

حتى أفكارك يا «عـــلي» لم تكن أبدًا متناثرة ولا مبعثرة، بل كانت مثل السطور.. كانت وما زالت تشعر بك روحى مهما لم يبلغ بى الوصف، أو حتى يسعفنى التعبير.

كيف لى؟ إن أصبحت «أكتر» كالجمال أحاديثك بداخلى وصوتك الذى لا أحتاج أبدًا أن أسترجعه إلى الآن.. يسري بداخلى.. وكيف كنت لي الراوي «الخصوصي» الذى أحببته من كل قلبي، بل وتعودت على صوتك وتعلقت به مهما وصفت لك.

صرت أتوارث حركاتك.. وطباعك، بل وإيمائاتك، كيف لى؟.. حين تعلقت بصوتك كنت طفلة لا أعي حتى حكايات «الف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة» التي كنت تسردها عليّ كل ليلة كـ «حدوتة ما قبل النوم المقدسة»، ولكنك كنت أنت وحدك المقدس فيها.

إن عقلى يخرجها وكأنها «شـــكمجية أفكارى» الثمينة.. بل أحيانًا أسردها لنفسي آلاف المرات بداعٍ أو بدون داع!.. كنت مختلفًا وصرت مختلفًا وستظل كل الاختلاف.. لما فات.. وللآن.. ولما هو آت..

وبرغم حبك للموسيقى والرسم، لم أرك أبدًا تعزف آلة موسيقية، ولكنى كنت أستشعرك من مشاهير الفنانين، كموسيقار عظيم، بل وموهوب، ولم أرك أبدًا ترسم لوحة، ولكنك صرت لي رسامًا خاصًا أو فنانًا مشهورًا بفنك وتذوقك، لكن فني لك يا «عـــلي» ســـيريالى أرسم ما أشاء لك، بداخلي وخارجي يا كل "علبة الوانى".. وألوان طيفى ويا

بديع لوحاتي ويا أُنس مكاني.. لتعلم كل العلم يا «عـــلي» أنك أنت السبب الأول والأخير على ما أبدو عليه حتى الآن وما وصلت إليه، بل وستظل مصدر معلوماتي الأول والأخير والعتيق، يا صديق مكتبتي التي لا تفهرس بدونك.

أتذكر يا «عـــلي» كم عدد المرات التى نصحتني فيها بأن أقرأ؟..ولما صرت يافعة أحمل خمس كتب مـــلأت ضحكتك، ووسعت الغرفة، وطلبت منى أن أضعهم على الأرض وأقف عليهم، بسؤال تلقائى منك إليّ:

- هذه خطوة أو درجة.. أتستطيعين أن تقفي لتبلغي سقف الغرفة مثلًا؟.. فبالقراءة ترتقي العقول صغيرتى.

كان الارتفاع حينها بالكاد نصف متر.. لم أفهم المقصد وانصرفت عن القراءة غضبًا، ولم تغضب مني أبدًا بل نظرت لي مبتسمًا.

صرت لا أعرف النوم يا «عـــلي» إلا على كتاب، صرت أضعهم وأقف عليهم طلبًا، بل خجلًا مني أن ألمسك في السماء، ولكن الآن دون جدوى، أتعلم كم لقب أطلقته عليك بداخلي؟.. «صاحب البهجة الحزين» ويا جذور شجرة الياسمين، صديق الهدهد، ويا محاكي الطبيعة.. أتعلم كم عدد المرات التى صفقت لك فيها بداخلي يا «عـــلي» ولم أُفصح لك عن ذلك.. أتعلم كيف كنت أراك؟.. كنت أستعير عين الحصان «أبي» كي أراك أضعاف حجمك داخلي وما أدراك ما الانبهار يا «عـــلي» لم أعد

أستطعم بعض الطعام بدونك وكأن ذلك ذهب معك.. ولا أعرف لماذا؟.

مازلت أتشمم رائحتك في بعض الأماكن، وبالأخص الزرع وأرى ملامحك بوضوح، وما زلت أراقب "الهدهد" مثلك تمامًا وأتذكر قصصك عن إخلاصه، بل و أناقته وسط الطيور، وأنه ذُكِر فى القرءان، بالطبع فهو يحمل العديد من الأسرار.. كنت صديق الهدهد، تعشقه وتراقبه بالساعات هو واليمام، حتى أن اليمامة صنعت عشًا في غرفتى، وأنا لم أزعجها أبدًا كما كنت تفعل مع الطيور كلها، وأتذكر كلمتك الشهيرة «كلما أهديت الطبيعة أعطتك، وكلما صرت متأملًا صرت أحكم.. أجمح لنفسك».. أحيانًا كثيرة أرى ملامحك و ابتسامتك ولكني لا أرى دموعك يا شامخا أبدًا.

«كل شئ نخير «علي» . . .لكنى لست نخير»

ما زلت تستقر بداخلي وفي أوصالي.. أسأل الله عن لقائك ولقائي بك الأخير..

«عـــلي» إني أتمرد على الأحلام والرؤى أحيانًا لحظات..وأحيانًا دقائق!.. «تلاحقنى المشاهد، يستهوينى التجوال، واقتباس الأنوار، بل واستراق السمع حتى لو لثوانٍ، بل أحيانًا ومضات ممتزجة برسائل مكتوبة.. مسموعة وهمسات ممتزجة بأدق التفاصيل.

هل هي الثوابت، أم الروابط.. الشواهد؟ أم هي بالأحرى النِعَم أم أنك يا «عـــلي» كل النعم.

«عـــلي» أنا لم أقصد الإطالة أتمنى أن يسعدك الله في برزخك يا حبيب الروح..

فيا حبيبي كل شئ بقضاء..

ما بأيدينا خلقنا...

ربما تجمعنا أقدارنا بعدما عز اللقاء

ولا تقل شئنا فإن القدر شـــــــاء!!!

تــلك الفــريسكا

«فريسكا» أطلق عليها هذا اللقب أصدقاء والدها الطلاينة، لانطلاقها وعشقها للبحر وللإسكندرية.. هي فى أوائل العشرينات، حبوبة، حيوية، ما زالت خجولة، وفى نفس الوقت صاخبة، وعنيدة جدًا.

تشتهر «فريسكا» بلون خصلاتها الحمراء، وشعر لا قصير ولا طويل، ونظارة شمس زرقاء تستخدمها لتحميها من أشعة الشمس صيفًا وشتاءً علامة مميزة لها وبها، فلنبدأ وصفها في أشياء أخرى... إن داخلها ملفت لا تعرف لماذا؟ ولكنهم هم حقًا من يقولون عنها ذلك، لكنا نعرف السبب لقد ترك فيها أبوها ما جعلها داخليًا وخارجيًا ملفتة.. مزيجًا من الثقافة وألوان الفنون، بل وألوان الحياة.. ميراثًا لا بأس به من كل ذلك، وحزنًا دفينًا على فراقه...

تعمل «فريسكا» فى توكيل رياضي، صاحبه بطل رياضى للعالم «سابقًا» في كرة تنس الطاولة، بجانب منزلها لكى تنسى حزنها، على والدها الذي تعرف وكل من حولها يعرف أنه لن يعوضه شيء.. أبدًا، ولكن صاحب العمل جار لوالدها، ومن الممكن أن يكون هذا هو السبب الرئيسى لموافقتها بالعمل لديه، وهو ثقتها بصاحب أبيها.

هو شخص خجول ليس اجتماعيًا بالمرة، عكسها تمامًا، ولكن عدد السنين التى عاشها جارًا وصديقًا لوالدها كفيلة بأن يعرض عليها العمل

كمسئولة عن العلاقات عامة والتعاقد الخارجى لهذا التوكيل، واحتياجه كصاحب عمل ذو طبيعة خاصة لشخصية أمينة، رياضية، محل ثقة ماهرة، ولا تنسَ مظهرها اللطيف للتعامل بأرقى نوادي الإسكندرية، وأمور التوريدات، وإدارة البطولات الرياضية، وهكذا.. ولكنها تسأل نفسها كل يوم يا ترى ما السبب الذى يجعل هذا «العربجي» يعمل فى هذا المكان الراقى؟.. وما سبب موافقة صاحب العمل على العمل مع هذا «النادر».. إن «نادر» عربيد لأقصى الحدود ومظهره لا يخفي ذلك على الإطلاق، بل كلامه، وجمله، ومحاولاته المستمرة فى انتقاء كلامه التي تبوء بالفشل.. أما مظهره العام لا يحاول جاهدًا لا من قريب ولا بعيد إخفاء ذلك، بل يفتخر دائمًا بذلك.. هو يعمل فى كل شئ.. حتى تجارة المخدرات البسيطة المقننة، ووصلات الدش، وفرش فى شوارع المنطقة متجدد ومتعدد.. أما علاقاته النسائية المتعددة بالرغم من أنه متزوج ولديه ولد!! كادت أن تكون عرضًا مستمرًا وفيلمًا كوميديًا بالنسبة ل«فريسكا»، أما التوكيل الرياضى يعتبر بالنسبة له بمثابة مؤسسة حكومية لأن حلم « النادر» بوجهة نظرها، أنه لم يكن يحلم بالطبع أن يعمل مع بطل الإسكندرية، بل بطل الجمهورية، بل بطل العالم الأسبق فى تنس الطاولة وعضو راقٍ في رئاسة مجلس إدارة نادٍ راقٍ بالإسكندرية، أما عن كابتن «حسن»، بعد فترة من اعتزاله للرياضة اختاروه ليكون عضوًا في الإتحاد الدولي لتنس الطاولة، تزوج

من روسية وأنجب منها ولدًا فى ألمانيا ثم رجع إلى القاهرة، وعاش بها سنتين واستوطن بعد ذلك في مسقط رأسه، ثم تزوج من مصرية بطلة جمهورية أيضًا معتزلة وأنجب منها ولدين يشبهونها ولا يتحدثون كثيراً إلا بأعينهم وليس لديهم كاريزما على الإطلاق.

كان أبي يقول لى إن ما جمع «حسن وشريفة» هي الرياضة أولًا ثم الحب ثانيًا.. أما «شريفة» فاعتزلت لسبب آخر غير وقوعها في حب كابتن "حسن"، وهو إنجابه ولدًا أسماه "إسلام" من زوجته الروسية، وهما يقطنان في نفس العمارة التي بها محل التوكيلات الرياضية كما الأجانب.. أما «إسلام» فتراه يقول لمدام «شريفة» ماما - وهي تعرف أنها ليست والدته ـ ماعلينا فهذا ليس موضوعنا.. حكمة الله.. لربما لم يرَ الروسية من الأساس ليقول لها ماما أو حتى «إسباسيبا».

ولا تستطيع «فريسكا» أن تنس "سحر" على الإطلاق، هذه الفتاة الأربعينية التي لم يسبق لها الزواج، ولم يسبق لها حتى الحب، وحيدة، وحزينة دائمًا، ترى «فريسكا» وتسأل عن عمرها هي بداخلها؟.. وما فاتها كله؟.. وعلى مستوى الجمال وإطلالة مختلفة وكاريزما، ولكن تكرر «سحر» ل«فريسكا هذه الجملة «أنا لا أعرف على الإطلاق سببًا لحبك ولكني أحبك».

لم تصدق هي يومًا هذا الكلام بداخلها وكانت تكتفى بهز رأسها عند سماع هذه الجمل من المجاملة أو الإطراء وتعرف أنها مجاملة

لا أكثر ولكن هل من الممكن أن يكون ورائها غيره، أو حتى عمايل بنات؟؟

ذات الخصلات الحمراء تبدأ يومها بملل و استنكار ولا تعرف السبب ولا تعرف حتى لماذا؟، أما «شريف منصور» الصامت لوقت معين، وحين بدأ الكلام قد ملأ الكون بالمعاني الحقيقية الواضحة و الغير واضحة التى أطلقت عليه «فريسكا» الصامت الغامض بسبب عمله الحسّاس، هذا الممشوق صاحب النظرة المختلفة الذى عرفت بعد ذلك أنه يحب الطعام.. أقصد يحب الله.. أقصد يحب الوطن.

في ليلة شتوية من ليالي الإسكندرية، لم تبدأ النوة بعد لكنها على وشك، يأتى من بعيد «شريف منصور» بسرعته، بينما تتحدث «فريسكا» في هاتفها خارج التوكيل الرياضي لحظة وصول الباشا.. نعم هو باشا أو تحسب أنه أسد في عرين يستيقظ منه بنشاط.. لحظة وصوله تنهي هى المكالمة، ينظر إليها بعتاب! كيف لا تكونين هنا لحظة وصول النجوم؟، وتدخل لتدير ما تبقّى من يومها بالعمل، مع نادر وسحر، هو الآخر تأتي إليه مكالمة تليفونية وحين خروجه يرمقها بنظرة ويطيل فيها ويترك هاتفه يرن أكثر من ثلاث رنات ليتأملها قبل أن يستقبل المكالمة بالخارج.

يخرج هو في نفس الساحة ليتحدث وتبدو عليه ملامح الجدية، بل يبدو عليه القلق ويبدو أنه قائده أو قائد لشئ ثم يقول في لهجة شديدة حين انتهى للتو من هذه المكالمة التي تبدو مريبة..

- ها خلصتوا وحضرتوا المقاسات خلصوني؟

لترد سحر قائلة:

- فاضل الكوتش النايك.

- إيه دا؟.. أنتِ متخيلة إني ممكن أقيس؟.. لالا.. أنا مش بتاع الكلام ده أصلًا.

لا يرد نادر على هذا -أقصد «شريف»- في العموم لأنه يشعر من داخله أنه ظابط ويتخيل لبرهة من الوقت القسم والمخبرين والسوجارة معلقة بالودان فى مشهد غير مرغوب فيه ولا محبب "لنادر" على الإطلاق، بل قرر نادر أن يتنحى عن اللهجة التى يتحدث بها «شريف» في حين ترد «سحر»:

- طيب حضرتك أؤمر طلباتك إيه؟

- قولت يلا خلصوني أنا مستعجل.

ثم ينظر خلسة «فريسكا» فى إطالة نظرة أخرى لها.. ما هذا المتعجرف؟ ولماذا يتحدث بهذه اللهجة ألا يكفينا الملل!!.. ألا يشعر بالبرودة؟ ولا حتى النوة التى لم تبدأ بعد، ثم تنظر له هي فى ترقب ماذا لديك؟.. ولماذا هذه العنجهية الكاذبة؟ إما أن هذا الشاب الممشوق الوسيم ضابطا فعلًا، ولكنه ذو رتبة كبيرة لأنه يحمل كوبونًا بمبلغ كبير، بل يبدو مبالغ فيه ومن خلال هذه الثقة التي يتحدث بها ومن خلالها هو لا يعير اهتمامًا لمن حوله، ولا حتى لمظهره المتأنق، أما هي فلا تبالي

حتى برائحة عطره التي استحوذت على نفورها ولا تعرف حتى لماذا.. ولا تبالي بالتساؤلات داخلها.. ثم ينظر لها آخر نظرة ويتحدث بكلمتين:

- هو أنتِ رأيك إيه؟ ولا بتفضّلي إنك تتفرجي وبس!!!

لتنطق «فريسكا» قائلة:

- عاوز إيه بقى؟

قالتها وكأنها طلقة «فشنك» تطلقها «فريسكا» من مسدسها الذي يشعر بالملل، بل وبالرتابة، إن مسدسها خاوٍ ملول مثلما تشعر، بل تطلقه هي في سخافة موجهًا لوجه شريف.

- حضرتك بتردي عليا أنا؟

- الحقيقة آه وما أردش عليك ليه؟ أنت موجهلي كلام!!.. أولًا صوتك عالي من ساعة ما دخلت، ومتوتر ووترتنا معاك ومش عارفين نشوف طلبات حضرتك، بالظبط من ساعة ما استقبلت المكالمة ومن ساعة ما دخلت التوكيل.

لم تقل ذلك فى هدوء هى الأخرى.. ثم أردفت قائلة:

- دا غير إنه مش مكتوب في الكوبون «من فضلك استحمل الشخص دة قدر المستطاع».

صمت الجميع.. ما هذا؟ لماذا قالت هذا؟ ولماذا قالته بهذه اللهجة؟ من هذا الشخص؟ وحقًا لماذا يطالب بأشياءه بهذه الطريقة؟ ولماذا يستخدم هذه اللهجة؟.. ولكن يبدو عليه أنها بالفعل أحرجته..

- ده الكارت بتاعي.. أنا قلت طلباتي وهاجي بكرة أستلم الحاجة كلها على بعضها.

- آاااه من فضلك هتيجي وتقيس الكوتش النايك عشان نبقى سلمنا صح.

- هبقى أشوف الموضوع دة.

لم تبالِ «فريسكا» علي الإطلاق بالرد..

- إتفضلي دة الكارت بتاعي، أنا قلت اللي عندي.

- وأنا مبشيلش كروت شخصية.. اتفضل حضرتك إديه لأستاذ «نادر» وهيبقي يكلمك بكره.. في حالة إن ملقناش المقاس هنبقي برضه نبلغك إننا رحّلنا المعاد.

- لا الكارت دا عشانك أنتِ.

- وأنا سبق قولتلك مبشيلش كروت شخصية!

فماذا فعل شريف؟.. أزاح بعصبية الزجاج الخاص بالمكتب ووضع الكارت تحته ثم قال بلهجة أكثر حدة:

- أنتِ اسمك إيه؟

ردت سحر بسرعة عنها:

- اسمي سحر.

- هنتظر تليفونك بكرة يا «سحر» أو الصبح، أنا فاضي بعد واحدة الظهر ماتنسيش يا «سحر» واحدة الظهر.

ثم في عجالة من أمره..

- مع السلامة يا عايقة.

كان يتحدث ل«فريسكا» ويتوعد «نادر» وينظر ل«سحر» في نفس الوقت.. يبدو أنه حقًا ذو مواصفات خاصة..!!!

قال «نادر» فور انصرافه:

- معووج أوي يابنات، وشكله حكومة.

ترد سحر:

- ومايتعوجش ليه حقه بصراحة شاب صغير وسيم وجميل كمان.

«فريسكا»:

- وسيم وجميل في نفس ذات الوقت؟

لتكمل سحر:

- اااااه ورشيق وابن ناس كمان مركز والله غير شقاوته ولا إيه؟

تسأل سحر«فريسكا»:

- ولا إية رأيك؟

لترد «فريسكا»:

- والله بلاوي و بتتحدف علينا.

«نادر»:

- أنا هخرج أشرب سجارة برا عاوزين حاجة يا بنات؟

- لا هتطول يا نادر.

- اااااه هطول.

- هههه...أحسن.

سحر:

- في إيه بس مالك؟ قوليلي ما الراجل مغرم صبابة أهوه، وكلام وقفش وراشق عينه فيكِ شكله عينه منك، والشاب ده يا برج العقرب يا برج الأسد وأقطع دراعي.

- لا اقطعيه.

يزداد الملل بداخل «فريسكا» أكثر ثم تقول:

- أنا مبحبش الدخلة دي بقي خالص ومش سكتي كمان ومش بيجذبني الأسلوب دو ولا العجرفة على فكرة.

- أنتِ شايفة كده؟

- آاااه جدًا.

- يعني أنتِ مش هتكلميه يا «فريسكا»؟

- وأكلمه ليه؟.. كنت خدت منه الكارت يا سابقة عصرك وأوانك.

- كلميه أنتِ أو إديه ل«نادر» يتكلم معاه بس خدي بالك بقي قلبي بيقولي!!!

- ها قولي...!!

- طب بوصيلنا على الكارت كده نشوف اسمه ولا هناديه «بندق» مثلًا؟

- خفة.

- لا ظرف.

- ماشي.. بقولك إيه أدي اسمه طلع شيك «شريف منصور».

- متأكدة يا "سحر" إن دة اسمه الحقيقي؟

- و أنا إيش عرفني أنا بقي؟!

- ما هي ناس غريبة!.. بقولك إيه يا "سحر" أنا ماشية عاوزين مني حاجة؟

- لسة نص ساعة علي فكرة!

- أنا بردانة والدنيا برد وامشي أنتِ كمان يا سحر علشان طريقك لسه طويل.

- يعني خلاص آخر كلام؟.. أكلمه أنا أنسق معاه الشغل.

- بالهنا والشفا يا ستي.. سلام.

تخفي«فريسكا» بداخلها سؤال ما الذي أتي بهذا؟ وما هذه التصرفات وما الداعي للعجرفة؟ إننا حقًا لسنا محلًا للأدوات الرياضية أو حتى مجرد باعة، وإن كان يأتي من مؤسسة حكومية كبيرة أو ذو منصب فهو يخفي هويته الحقيقية بالطبع لأنها اختلست نظرة إلى الكارت الذي قدمه لها لا يحمل أي لوجو أو شعار ولا يشير إلى مؤسسة بعينها بل إنها تذكرت عبارة الأفلام البوليسية "سري وخاص".

هو ينظر بحدة ووسط كل هذا يحملق فيها وهي لا تستطيع قبول هذا ولا إخفاء الفضول عن نفسها من هو يا تري؟ هو أعجبها! لكنها

ترفض أُسلوبه!.. هي تشممت عطره، غالبًا تركه بالمكان ولكنها نفرت من الرائحة، إن عطره صاخب مثله ولا تعرف سبب هذا كله، وتوافق رأي «سحر» هو على الأغلب برج الأسد أو العقرب، وما أدراك برجال برج الاسد، ونفس العجرفة موجودة ببرج العقرب.. يتصورون أنهم أتوا من بعيد بعد أدم مباشرة، ليكملوا المسيرة وحدهم بالأرض نعم وحدهم.

لا تعيري الأمر اهتمامًا أيتها «الفريسكاوية» بل ابحثي عن «ماج» شيكولاتة ساخنة جدًا يدفئ أطرافك لينهي يومك الممل، الصاخب، المرهق، وسخافة «شريف»، بل استقبلي يومًا جديدًا، هادئًا، أقل بردًا تكونين فيه أقل مللًا من اليوم.

«صوت الشتاء أخيرًا»

قالتها «فريسكا».. النوة بدأت هي تحب جدًا أن تنام على صوت الشتاء وتدعو الله وتسبحه في صمت منذ نعومة أظفارها.. تضع أمامها «الماج»، ليُخرج لها عقلها صورة لهذا «الشريف» المتعجرف خلسة، لتحمل علامة استفهام منها لدقائق، ثم تضع «الماج» لا تدري أين، وتستسلم للنوم.

صباح يوم شتوى جديد خالٍ من الشمس.. طبعًا إن «المارية» تعزف طوال الليل صولوهات المطر وهي دعت وسبحت وسافرت لبعيد أيضًا بأحلامها.

الكل هنا يبحث عن قهوة صباحًا، الكل صامت، الكل يشعر بالبرودة إذن يسعد صباح العمل والأمل، يسعده بالأمطار والسحب على النغم...

«سحر» تكسر الصمت:

- أنا قررت ويا ريت تكوني مبسوطة بقراري إنى مكلمش «شريف منصور» دا.

- لا يا شيخة.. دا شغل يا بنتى!

تتعجب «فريسكا» من قول "سحر".. يرد «نادر»

- أنتِ الكسبانة بس بقولكوا إيه أنا هاجي على نفسي أهو وأكلمه راجل لراجل بس مش عاوز رغي وهري ساعة صبحية.

- خد التليفون يا « نادر» وخلصنا إنتوا هتتعازموا.

يتصل فعلا "نادر" ليجد الهاتف مغلقًا!.. تندهش سحر، تبتسم «فريسكا» وهي ترتشف قهوتها الصباحية، وقلبها دليلها بل يحدثها لتقل ما بداخلها..

- الراجل دا وراه حاجة! و ما اسمهوش "شريف منصور" هاتلنا الجرايد يا "نادورا»..

هكذا أنهت «فريسكا» كلامها..

- أهو دا اللي إنتوا فالحين فيه هات يا نادر ودى يا نادر.

- يا بني هبص على مناقصة الجيش.. تحديدًا معادها النهاردة.

- أنت شكلك نسيت.

- آاااه تعبان والله، بس شاطرة كنت هنسى يا أروبة يا ساكتة أنتِ.

- هو أنت أصلًا بتفتكر الشغل؟ طب بلاش بتفكر في الشغل من أساسه؟

- أنتِ على طول كسفاني كدا يا «فريسكا».

- يا عم هو أنت فالح أصلا؟

- بوصي أهم حاجة البرادس.

- إيه البرادس دي؟

- يعنى الفلوس يا «فريسكا».. في برادس تلاقيني راشق على طول هنا بقي هناك وهناك يقولولي هنا.

- هههههههه.

لا تستطيع «فريسكا» إنكار أن «نادر» «دمه خفيف» كما شعره وتسريحته الغريبة العجيبة أيضا.

- أنت رايح يا "نادر" في أي حاجة صح؟

- أومال إيه.. لا دانا أعجبكوا أوى وخاربها برا.

- لا لا إرجع والنبي مش ناقصين إحنا ياعم.

- استنوا يا بنات التليفون بيرن أهو. ألو ألو؟!.. لا والله النمرة غلط والله النمرة غلط.

ارتفع صوت الضحك من الكل...

- أومال أنتِ كنتِ فاكرة مين؟ يا «سحر»؟.. «شريف» إياكِ.

- لا يا خفيف كنت فاكرة مامتك.

- بس يا "سحر" هزعلك.

تبتسم «فريسكا» لأطفالها الكبار..

- مافيش فايدة.. والله ما يحلى الشغل إلا لما يتناقروا مع بعض.

هي تتأمل... آخر رشفة من فنجانها الثاني، وتأملت الجرائد.. أحداث عنف في لبنان، مناقصات، أبراج، أخبار هامشية...

- «نادر» مناقصة الجيش أعلنوا عنها أهوه.

- محتاجين كراسة شروط..

واضح إن نادر ستأتي له مهمة عاجلة تذكره بها «فريسكا»..

- «نادر» كلم من فضلك الكابتن، وخليه يحولنا فلوس على الفيزا.. هتروح تشتري كراسة الشروط واحتمال يكون فيه تأمين بس هيتدفع بكرة.

يمر اليوم بمنتهي السلاسة لا هو تقليدي ولا هو ممل مثل الأمس، هو فقط مناقصة والكابتن وكراسة شروط وفناجين قهوة وبعض المجات المتناثرة لآثار شاي يحتسيه بكثرة نادر وسحر وبعض المعاملات البسيطة وتليفون خطأ وبرد وتمتلئ الشوارع بالمياه..

****

«محلاكي يا إسكندرية في كل وقت وساعة وحتي العصرية بشمس بلا شمس شتا وروايح شجر طالع منة ريحتك، وشوارعك المغسولة عشق علي عشق وحرية»

****

تأتي ساعة البريك من الثالثة إلى الرابعة والنصف أو الخامسة والكل يأتي في الخامسة والنصف، وهي وقت القيلولة والغداء.. ما أحلى هذا الوقت مع وجبة ساخنة في الشتاء و«تغفيلة» لفريسكا ..الساعة الخامسة والنصف...»

يأتي «نادر» والنوم في عينيه و«سحر» تراها تهرول للوصول لأنها تقطن بعيدًا عن التوكيل الرياضي وتقضي الوقت تقريبًا بالمواصلات ممسكة بسندويتش لاختصار الوقت والراحة في نصف ساعة قبل العودة للعمل مرة أخرى..

سكووون...

- إيه مافيش شاي؟

هكذا تعالى صوت نادر المتحشرج..

- أنت مبتشبعش شاي يا أخى؟

- الدنيا ساقعة وبعدين دا مزاجى مع السوجارة.

- إيه دا؟ - ترد «فريسكا» - هى السجارة بقت بالواو؟

- آه أنا بكتبها كدا والواد «فارس» طالعلي.

كان نادر يتحدث عن ابنه.. لتحبطه فريسكا قائلة:

- فارس و بنى خيبان.. طب الحمد لله عقبال ما تنطقها من غير واو لأنها لا بتتنطق بواو ولا بتتكتب بواو.

- بجد؟

يدخل رجل خمسيني ومعه أولاده يفك الاشتباك الذى كان من المحتمل أن يحدث.. ولد وبنت ممشوقة القوام يبدو أنها تلعب لعبة رياضية بالتأكيد..

- من فضلك يا أستاذ ألاقي كور طايرة ماركة «ميكاسا»؟

- آه فيه.

- من فضلك سعرها كام؟

- 100جنيه.

- طيب عاوز واحدة.

- من عنيا.

- إتفضل.

- متشكر أوي.

الساعة تقترب من السابعة.. سحر تتحدث بتليفونها الخاص وتتأخر. «الخميس».. اليوم الأجمل على الإطلاق في أي عمل أو الأشغال فى العموم.. ساعات نوم زيادة.. فيلم السهرة أو رواية جديدة أو حتى فيلم فيديو «لبراد بيت».. اندهشت «فريسكا» لإعلان الفيلم الجديد.. «Meet Joe black».

كل مثل هذه الأشياء بالنسبة لها تبدو لطيفة، ومسلية ومنتهى الراحة بعد يوم عمل مقسم إلى ورديتين يكادان أن يكونا روتينيتين، حتى تغيير المنطقة هنا مستحيل، فعملها بجانب بيتها، ولكنها تشعر

أيضا بالملل.. ولا جديد.. برد.. تليفون لا يرن، ولم تستقبل اليوم مكالمات من أصحابها لتنسيق «خروجة الخميس»!! المعتادة.. لابد أنه الطقس، الكل يبحث عن الهدوء عند البيت.. جائز الساعة التاسعة، باقي ساعة.. يرن التليفون الأرضي.. إنه الكابتن:

- ألو... إيه أخباركوا؟

- كلوا تمام.

- الجو وحش أوي النهاردة.

- دي حقيقة.

- طب من فضلك إدينى نادر.... نادر قفّل وروح البنات.. الجو وحش.

- حاضر يا كابتن.

- وأنت هتروح ولا هتقضيها كالعادة؟

- لا يا باشا مافيش راجل ابن راجل يروّح تسعة ولا عشرة ولا إتناشر حتى.

- ماتنساش بس إنك بتشتغل هنا.

- وماله يا كابتن؟.. مابنساش.

- طيب قفّل وماتنساش تطلعلى المفتاح مع البواب.

- حاضر يا كابتن للي تشوفه.. سلام.

ياااه اختزل ساعة من الوقت و هذه الساعة تكفى الفيلم الجديد لبراد بيت.. طقس سئ للغاية.. شتاء، هواء، برد، كل هذا يعني البيت

ثم البيت.

- سلام.

قالتها «فريسكا»..

- رايحة فين؟

- هروح يا عم.

- دة أنتِ أكتر واحدة ساكنة قريب.

- مش الكابتن قالك روّح البنات؟

- آاه بس أنا حقودي لا لا... أتمنالك خراب رائع هههه.

- بالله عليك يا نادر أنا ما ناقصة حقد ولا أرف كفاية الملل للي بقالي فترة حساه دا.. والنبي يا نادر ما تعملنا مصيبة علشان هتمشي بدرى.

- هحاول.

- سلام يا «سحر».

- بقولك..؟

- ها..

- فيه حاجة عاوزة أحكيلك عليها.

- خير يا ترى...!!!

- ولا أقولك خلينا بكرة.

- أنا كمان ماليش مزاج أسمع حاجة.. يالا أجازة سعيدة فى ساعة.

- يالا أجازة سعيدة لساعة.

- أهو أنتِ.

ما الذى تريد أن تحادثها فيه «سحر»؟!.. على العموم «فريسكا» ليست فضولية بدرجة «سحر» على الإطلاق، أما «سحر» فبداخل تفاصيلها تفاصيل تقطن في منطقة شعبية، أما وجهها يحمل بعض التجاعيد، تشير بها إلى الزمن ومتوسطة الجمال.. ممتلئة الجسم بجانب أنه ليس متناسقًا إلى حد ما، تفوقها جمالًا «الفريسكاوية» على تجاعيدها...

فيلم «براد بيت» الجديد يشغلها، الحمد لله أنها لحقت بمحل شرائط الفيديو قبل أن يغلق، هي لها باع طويل فى هذا المحل، إنه بجانب عملها لأنه مشروع يخص جارها أيضًا، وما أجمل وجبة ساخنة، وجبة العشاء هى الوجبة الأساسية عندها، هى تحب الليل.. تفضله.. ترتاح له.. كان والدها يقول لها دومًا.. «حتى وجهك صغيرتى مستدير كما القمر».. هى تعشق القمر بكل تفاصيل ليله وتسأل بداخلها هل تستولي على بطانية أخرى لكى تدفن قدميها، أصبحت لا تعترف ببطانية واحدة بعد والدها بعدما كان هو يقوم بتدفئتها، هى لا تريد لمس رجلها اليمنى باليسرى حتى لا ترتاب.. ولا يعيد لذاكرتها مشهد تدفئة أرجلها من أبيها الحبيب...

ما الذى جعل المدعو (شريف منصور) الذى كان منذ يومين فقط «الشريف المتعجرف» يخطر ببالها، ألهذا الحد تهرب؟ لماذا أغلق هاتفه

يا ترى؟ ولماذا يخطر ببالها الآن؟ أهى تتسائل أم تريده أن يخطر ببالها.. هي متأكدة وواثقة أن المرة التالية لن يأتي متعجرفًا، وهي لن تكون ملولة... وما خفى كان أعظم!!!

صوت المطر يداعب أذنيها، والفيلم في منتصف أحداثه، هى تستسلم للدفء.. هى تستسلم للنوم لحضور الجمعة المباركة... تفتح عينيها لتجد نفسها بالبيت وحدها.. ما هذا أين ذهب الجميع؟

كم الساعة الآن؟!.. ترى في الموبايل الأخضر الالكاتيل.. هى تفضّل أيضًا الأشياء الصغيرة وتميل كل الميل للبساطة... فكل ما هو صغير جميل بل أجمل بكثير من التفاصيل.

تصل إلى العمل.. وهى لا تفضّل أجازة السبت والأحد فهذا نظام غريب عليها وعلى كل من يعمل مع الكابتن..

- «سحر» أنتِ هنا؟

- آه من بدري.

- طب «نادر» هنا؟

- لا.. مش هتصدقي.

- خير.. استر يا رب.

- «نادر» بيصلى.

- لا؟!

- آه والله.

- من إمتى؟!

- يا ستي إحنا مالنا يا ستى أنا...

- بس يالا الحمدلله على البركة.

- بصي بقى يا «فريسكا».

- ها.

- من الآخر كدا من الآخر.

- هاه.

- أنا بقالي يومين كدا بكلم «شريف منصور» في التليفون!!!

- يا شيخة وبعدين؟!.. مش أنا قولتلك إمبارح عاوزاكٍ في موضوع وأنتِ قولتيلى خلينا بكرة؟.. طيب بوصى يا ستي بقى اللى حصل بالظبط أنا لما كلمته أخدت طبعًا تليفونه من الكارت و كتبته عندي حلو؟

- حلو وبعدين؟

- تفتكري إيه اللى حصل؟

- لأ «عروستي».. انجزي عاوزة قهوة أنا.

- افتكرني أنتِ على فكرة!!

- إيه دا؟.. طموح أوى دا الجدع.

- مش قولتلك عينه منك!

- أها وبعدين؟

- المهم قعدنا نتكلم شوية كدا وبعدها سألني بقولك إيه معلش عندى

سؤال بعد إذنك؟.. مش أنتِ للي كنتِ بتتكلمي فى التليفون الأخضر الصغير ساعة ما كنت داخل التوكيل صح؟ برا وكلمتينى وحش.. قلتله موبايل أخضر! تقصد زميلتي بقى قالي أيوا بالظبط زميلتك العايقة دى!!!

- ده مركز بقا على الآخر معايا!

- طيب والمطلوب منى؟

- ولا أي حاجة.

- بصي يا سحر.. أنا مبحبش نوع...

قاطعتها «سحر»:

- إحنا اتفقنا مع بعض أصلًا خلاص.. وهو هيتصل دلوقتي وفرصة.. إن سي زفت برا.

كانت "سحر" تقصد «نادر».

- لا لا عيشي حياتك معاه.. أنا برا حسباتكوا.. فككوا مني على رأى نادر!

- ماشى أفكك مني موافقة.. بس هو مش هيفكه منك.

- كلمة هيفكه دى إحنا أخدنها من نادر صح يا " سحر"؟

- ماتغيريش الموضوع.

- ليه بقى؟

- علشان معجب يا ستي وفي رأيي أنا كسحر ولهان كمان.. مش يمكن يطلع شخص كويس؟

صمت تام انتاب «فريسكا»

رن تليفون «سحر».. كان «شريف».. خرجت من التوكيل إلى الساحة، ولم تبال «فريسكا» و بعد عشر دقائق أتت لها وقالت:

- عيب بقى الراجل على التليفون.. يلا بقى أنتِ كدا هتكسفيني أنا كمان وتصغرينى.

ترددت «فريسكا».. ثم قالت:

- ألو.

- ألو.

- ينفع كدا؟!

- للي هو إيه؟!

- تصغريني قدام الموظفين.

- مين معايا؟.. قالتها «فريسكا»

- أنا يا بنتي «شريف منصور» (سابقًا)

- هههههه سابقًا؟.. جديدة دى، مين بقى كاسم؟

- علطول كدا؟.. محمد اسمي محمد.. واسمحيلي دلوقتى مش هقدر أقول محمد إيه.. لكن حقيقي اسمي «محمد»...

- طب وبالنسبة للكارت؟

- بصي تقدرى تقولي فرد من رئاسة الجمهورية.. أنا بشتغل ضابط حراسات خاصة في مؤسسة رئاسة الجهورية.

قبل أن تنطق «فريسكا»..

- أنتِ لطيفة حقيقي جدًا.. أنتِ وفونك الصغير الأخضر.. ولفتي نظري جدًا من أول نظرة.

- ميرسى لذوقك مش هقدر أنكر خالص إن دمك خفيف وجرئ.

- ممكن رقم تليفونك؟

- مممم أفكر.

- لا مافيش وقت لكدة خالص.. هنزل القاهرة بكرة استدعا أما النهاردة هنتقابل كمان.

- أنت جرئ صح؟

- آه جدًا أنا جرئ جدًا فعلًا.

- طب خد الرقم من سحر.

ولا تعرف لماذا قالت «فريسكا» لشريف.. عاوز حاجة؟ هو سؤال «لازمة» فى فمها أو قالت العبارة يجوز من رتباكها...

- عاوز حاجة؟

- عاوز طبعًا.

- خير يا رب.

- عاوز أكل رز بالشعرية وبسلة بالجزر.

ضحكت«فريسكا»:

- أها «طموحات مامى» دى يعنى.. طب و بالنسبة للحلو؟

- الحلو بيكون «فريسكا» مثلًا.. إسكندرية بقى

قالها صدفة!!! ولكنه كان يصفها هي، هي فقط «تلك فريسكا».

حبل الوصال

كم كانت «دينا» مجهدة، إثر يوم عمل طويل، وأحداث عديدة لا تسر مرّت بها البلاد قضت فيها فترة طويلة في «حظر التجول» كان بالنسبة لها ما هو إلا كبت للحرية وقمع للسفر، فهي تعشق السفر محبة للمغامرة، هي «المتمردة التى تحب الحياة».. انتهزت الفرصة لقراءة العديد والعديد من الكتب، هذه الفتاة لا تُغلَب أبدًا، ستظل «تعافر» وتقاوم إلى مماتها.

اتخذت قرارها بالفعل بحثًا عن الدفء والطمأنينة حتى تنعم بالوصال.. أن تبيت عند جدتها تلك «النوارة» صاحبة الأصول المغربية العتيقة.

إن «نوارة» بالفعل طاقة حب وحنان وطمأنينة، كما أنها طاقة خبز أيضًا.. أحيانًا تشعر «دينا» أن هذه النوارة بمثابة «حائط المبكى» وأحيانًا تشعر أنها ملكة، بل وسيدة مواقف وقرار.. صحيح هى الآن عجوز ولكنها تبدو كشخصية تخرج لنا من الروايات الكلاسيكية تتعرف على المعاصرة من خلال «المتمردة»..

«دينا» تحبها جدًا وتعشق تفاصيلها، وطريقة حياتها أما عن الاستقبال فملئ بالحفاوة والدفء ورائحة الطعام الشهي وكأن «نوارة» دائمًا على موعد..

- مش قادرة أكمل طبقي حقيقي، «نوارتي» مش هتبطلي تتفرجي عليا وأنا باكل؟

- لا طبعًا علشان أشبع يا حبيبتى.

تتوقف «دينا» عن الطعام وتنظر في وجه «نوارة» الوردي، وتطيل النظر بمنتهى الحنان والدفء، وقبل أن تنطق تسبقها «نوارة» بقول:

- الحمد لله.

- تسلم إيدك يا «نوارتى».. القهوة عليا أنا اللي هعملها.

- هتكسريلى فنجال يا «دينا»؟

- «الذل الأبدي».. يا «نوارتي» دا كان من حوالي سنة.

- ولووو.. فنجالي جزء من حياتى.

- دا أنا حبيبتك.

- ولووو.

هذا الركن ببيت «نوارة» لا تكفيه حقًا الساعات، ستارة كلاسيكية رائعة الجمال.. «شباك» طويل يفصل بين البلكون وداخل البيت.. أما الشباك فمغلق بالشتاء لتنعم بالداخل بالدفء، ومفتوح في الصيف «كشباك الحياة».. «فوتيه» مفروش بالقطيفة، بجانبه صينية فضية كبيرة بها سبرتاية تلمع من نضافتها باستمرار، بجوارها مزهرية ورد صغيرة وطبقين لا ينضبان.. الأول به تمر فاخر مع القراصيا والمشمشية يليه الثانى المليء بعيدان قرفة خام وشوكولا على شكل قلب أحمر ومن

طقوس «النوارة» المقدسة أنها تضع عود قرفة خشبي فوق فنجالها تستقبل دخان الفجال بهوادة ليمتزجا.

جلست «نوارة» على «الفوتيه» لتقول لدينا وتأتى بها من بعيد:

- قوليلى يا حبيبتى....

تقاطعها «دينا»:

- الشغل؟

- مش هسأل عن الشغل.. أخبار «أحلامك» إية؟

- لا متقلقيش يا حبيبتى اليومين دول بخرف.

- احكيلى يا «نوارة» عن «محمود».

- ما بتزهقيش من حكايات جدك صح؟

- بحبه يا «نوارتى» وما تنسيش إنى ما شوفتوش غير في الصور مش عاوزة أقطع «حبل الوصال» مش دا كلامك.. ولا إية؟

بعدما أفرغا قهوتيهما سويًا، رأت «نوارة» النوم يداعب جفون «دينا»، فخفضت إذاعة الراديو و طلبت منها أن تدخل غرفتها لاستكمال حكايات جدها، لقد زرعت «نوارة» في «دينا» من صغرها كل ما هو جميل كما زرعت بداخلها معاني «حبل الوصال».

برغم تمردها إلا أنها تخضع كليًا ل«نوارة» إن نوارة بالنسبة ل«دينا» هي حبل آمن، رادع، لا يضيق عليها أبدًا ولا يمس حريتها، ولكنه يضيق خناق تمردها.

راحت دينا بالنوم في طيات حِجر «النوارة» ويديها الدافئتين على جبينها، كانت تقرأ لها القرآن خشية عليها، تفهمًا لخواطرها ورؤياها، التي بالفعل ترثها عن «نوارة».

قبيل الفجر بخمسة عشر دقائق استيقظت «نوارة» لتصلي الفجر، شعرت بدينا وكأنها تقةل كلمة.. كذّبت مسامعها في البداية، لكن قلبها الشفاف أخذها للغرفة.. تضع يدها على جبينها بمنتهى الرفق..

- ما هذا التعرق؟ وما هذه الابتسامة التي ترتسم على وجة «دينا» وهي نائمة؟

إن الابتسامة تريح «نوارة» وتطمئنها لتفتح عينيها «دينا» بسلام وتستقبل وجه «نوارة» الوردى، تحتضنها وتقول:

- باقي عشر دقايق على صلاة الفجر.

- لا !!

- يا «نوارة.

- بنت مش هتناديني أبدًا بـ«نانا» وتتأدبي؟ وبعدين يعنى إية لا؟

- يعنى مش هناديكي بنانا أبدًا.

تبتسم «نوارة» وتقول:

- قومي صلي الفجر.

- حاضر.

- أيوة كدا ربنا يرضى عنك.

بعد الفروغ من الصلاة تضع لها معلقة عسل أبيض كبيرة في فمها بالغصب مستسلمة «دينا» ل«نوارة» وكأنها طفلتها على كبر.. الساعة الثامنة توقظها «نوارة» باقترابها:

- كسلاانة.

تبتسم « دينا « ولا ترد عليها...

- عفريتة.

- يا نعم.

- يالا علشان تحكيلى عن «الحلم»

- تدفعي كام؟

- تنفع أغنية نادرة لفيروز.

- بالله عليكِ.. طب قولي اسمها.. أسمع الأول!

*****

من على أحد المكاتب في القطاعات الخاصة، تصل «دينا» لعملها ووجهها يبدو عليه السعادة والراحة تستقبلها «تسنيم» زميلة عملها

- دا إية الحلاوة والروقان اللى على وشك دا كله؟ أنتِ كنتِ عند نوارة؟

- بالظبط ومش بس كدا، دا أنا كنت بايتة عندها كمان.

-أوعدنا يا رب.

- أكلتي إيه؟

- هههههه همك على بطنك أنتِ يا «تسنيم»..أكلت الأكل إلى بتحبيه!

- يبقى «لحمة بالقراصيا» وصينية قرع عسلي.

- بالظبط كدا.

يضحكان سويًا، ثم يلتفتان لخطة عملهم وخطة اليوم، وسط الإنشغال بمهام اليوم والاندماج في العمل تقول دينا منادية صديقتها:

- «تسنيم».. التغير مطلوب، خلاص أنا قررت أطلع شرم الشيخ.

- بجد والله؟!.. و القرار دا أخدتيه بعقلك ولا بقلبك؟

- أخدته بهرموناتي!!!

- هههههه.. تضحك «تسنيم».

- أنتِ مجنونة يا «دينا» صح؟.. إحنا يا دوب فاكين في البلد «حظر التجول» وبيقولوا كماين ثم إن مافيش أوتوبيسات دلوقتى ولا هتسافري بالطيارة؟

- منين بقى؟ من المبيعات؟، ولا من تأخيري الصبح والخصومات؟، ولا «البريزنتيشن» اللي بيتعمل منك يا «تسنيم» صح زيادة على اللزوم وفى الآخر العميل ما بيتصلش بينا.

- خدي يا "دينا» هنا.. أنتِ ندهتك النداهة ولا إية؟

- آاااه.. أنا هسافر شرم مش فاضية أنا هحضر شنطتى.

- والمدير يا بنتي؟

- قوليله إني في أجازة مفتوحة.

- طب والشيك للى أنتِ مستنياه؟

- حلال عليه ياخده.

غابت «دينا» فى هذا القرار المفاجئ وهي تتذكر بداخلها «الحلم».. وما الذي رأته دينا بالحلم؟.. «مركب كبير ساحر، لونه أزرق يبدو جميلًا، في وسط شارع لا تعرفه، وبالأحرى مكان لا تعرفه، وحبال من خارجها، مياه جارية لونها أزرق أيضًا تحت المركب في وسط طريق!..»

«منتهى التخريف»

تعتصر ذهنها كم عدد الحبال التى رأتها تخرج من هذا المركب؟ تشعر أنها تحلق بالسماء.. «ويبقى كدة ولا أجدع سحاب يلغوش على اللى بتشوفه «دينا» في أحلامها...

تبتسم في صمت ولا تعرف ماذا يخبئ لها الغد؟.. أغدًا ألقاك ؟.. كانت تقصد الحبل طبعًا.. «كدا تمام أوى»...

تصل لمكتب السوبرجيت، تحدث موظف الحجز:

- من فضلك عاوزة تذكرة لشرم الشيخ.

- حضرتك حجزتى أوتيل؟ علشان الحجوزات الفترة دى صعبة شوية.

- آااة طبعًا!.. الحجز من فضلك هيكون الساعة كام؟

- الحقيقة أول معاد بعد ثلاث تيام يا أستاذة.

- يارب يطلعوا ثلاث حبال.

- حضرتك بتكلمينى؟

- لا أبدًا متشغلش بالك.

- تسعة صباحًا.

- دة يوصل كام؟

- يا فندم يوصل بالسلامة سبعة مساءًا.

- اتفضلي.

- أشكرك جدًا.

يرن هاتف «دينا» لترد، فتجد أنها «تسنيم»...

- إيه عملتي إيه حجزتى؟

- آه.. تصوري لقيت تذكرة بعد تلات تيام.

- طب كويس أوى بقولك يا «دينا» تصورى الشيك وصل.

- بجد؟!

- آه ارجعي يا محظوظة تانى وخدى فلوسك ما تنسيش تعدى على الحسابات.

- حلو دا.

ابتسامة أخرى من «دينا».. «حجزت تذكرتها، فلوس زيادة.. سبحان الله، لابد وأنها دعوة «نوارة» بعدما حكت لها عن «الحلم».. أم أنها بركة الحبل؟ أكيد حبال الحلم دى مبروكة أو ألف مبروك عليها الجنان.. لكنها مستمرة فى فكرتها، ومغامراتها المتعددة تبحث عن أى حبل؟.. هل هو "حبل الوصال"، أم أنه حبل «سير الأنبياء» التي قرأت عنها في الكتب، أم أنه حبل وهمي؟

تسترجع «بداخلها» مشاهد الحلم وصورة.. تغوص، تشرد، في دنيا ما وراء الأحلام.. تستلم شيكها لتعد النقود فتتذكر الحبل.. يسألها المحاسب:

- تمام كدا يا «دنيا»؟

- طول عمرك تمام يا أستاذ "حسن".

- ادعي لنا معاكِ يا ستى.

- يا عم "حسن" هو أنا طالعة الحجاز!!

- يا ستي.. أهو كله «حبل وصال».. تعرفى إن بينك وبين السعودية مفيش.

- آه والله.

تصمت..كيف يسمح لنفسه "حسن" حتى التحدث عن الحبل الذي يخص «دينا» يابركة الحبل.. اصمدي.. هي تحتاج أن ترتب أفكارها.. أول تجربة لها في شرم الشيخ ولا تريد إلا الحبل، لا يوجد راحة، فلنبدأ في رحلة البحث عن الحبل.. يرن هاتفها مرة أخرى.. تفكر ألا ترد لكن كم يشغلها فكرة الحبل؟.. لربما عرفت أي إشارة عنه.. إنها«رشا» صديقتها..

- ألو.."دينا".

- ها.

- مش هتصدقي أنا فين؟

- فين ياستي؟

- في شرم الشيخ!!!

- شرم؟! إيه دا بجد؟!

- آه والله.. جيتي على بالي قولت أكلمك، ما تيجى يا «دينا» تقعدي معايا تلات تيام؟.. أنا جوزي مسافر وهقعد مع الولاد تلات تيام من غيره.. ويا يرجع ياخدنا للقاهرة يا نرجع كلنا سوا إيه رأيك؟

- موافقة.

- طيب مش عاوزة تعرفي الأوتيل؟

- لا.

- طيب حتحجزي إمتى؟

- هرد عليكِ بكره.

- رغاية أوى أنا.. بردو حكلمك.

- ماشى براحتك بس بلغينى قبلها إيه حيحصل.

- إن شاءالله.

يا بركة الحبل.. ورغم كل روح الفكاهة والتمرد والتحرر بداخل «دينا» إلا أنها سعيدة بقرار السفر المفاجئ.. متألقة، مشرقة، ولا تعرف السبب.

في اليوم التالى... تهاتف «دينا» صديقتها...

- ألو «رشا».. أنا حجزت بعد بكرة بإذن الله.

- برافو عليكِ حبعتلك التفاصيل على تليفونك.. بقولك هاتيلي «لب» معاكِ وحياتك علشان مش عارفة أشتري لب من هنا.. غالي.

- لب يا «رشا»؟!.. أنتِ إيه الطموح اللى أنتِ فيه دا؟ أنا دماغى مشغولة بالسفر وهشتري نواقص وأنتِ بتفكري في بطنك؟.. ومش عاوزة جبنة قديمة بالمرة تدوقيها للأجانب.

- هههههه طول عمرك دمك خفيف.

- لا تصورى وسام كان واخد من مامته وخلصناها هنا.

- فعلا؟.. «رشا» أنتوا بتاكلوا في الأوضة لب وجبنة قديمة والعيال إيه باليل؟ بتحطوها فى نص فينو؟

- هههههههه إلا عيالي.

- عيب عليكِ.. يخربيت الذل كل ده عشان تلات تيام؟.. خلاص يا ستى مش عاوزة حاجة منك.

- هههه خلاص ما تزعليش حتنيل وأشتريلك سلام بقى.

تبتسم «دينا» متوسمة أن الجبنة القديمة واللب قادرين، على إبطال مفعول «الحبل السحري» مثلا أوان بركة الحبل في حد ذاته كان يلزم لها شراء بعض «المقبلات».

الساعة الثامنة صباحًا:

تهاتف «دينا» «نوارة»..

- «نوارتي» حبيبتى أنا حسافر شرم الشيخ كمان ساعة.. حعمل بنصيحتك إنى أغير جو وأفصل عن كل حاجة، ساكتة لية يا "حبيبتى" ؟

- حقول إيه؟ خدي بالك من نفسك يا «دينا» لو سمحت.

- حاضر يا حبيبتي.

تودع «دينا» شارعها، متحمسة أن تسمع بداخلها خبرًا مثلًا عن الحبل، وتنظر إلى الحقيبة المليئة بالملابس واللب والجبنة القديمة «لرشا» أما ملابسها فتكفي لخمس أيام وليس ثلاثة.. لماذا؟ لاتعرف السبب!!

باقي من الزمن نصف ساعة، ها هى تصل، تُخرج تذكرتها، وتسأل:

- لو سمحت أتوبيس شرم الشيخ الساعة 9؟

- أهو هناك.

يأتي شاب يلصق على يد الحقيبة رقما ويلصق فى ظهر التذكرة الجزء الآخر:

- اتفضلي.

تركب «دينا» الأتوبيس وبداخلها حلم الحبل، أو اكتشافه أو حتى قتل السراب بداخلها!.. كان كرسي دينا بجانب السائق.. مكان استراتيجي فعلًا، تقرر بداخلها ألا تغفل، حتى لا تنشغل عن الطريق، أو عن رحلة البحث عن «الحبل المشوقة»، التي لم ترتب لها على الإطلاق، هي بداخلها فى العموم مجرد طفلة كبيرة، أما الآن بداخلها «فوضى الأفكار».

تعمل «دينا» فى وكالة للإعلانات، عمل يناسب شخصيتها وأفكارها الغير تقليدية ، ولكنها تبحث أغلب الوقت عن «حبل الأفكار» الجديدة والمبتكرة، وتبحث مع عائلتها عن "حبل الوصال»، كما أنها تمتلك «أحبال

صوتية» لابأس بها حيث كانت تغني على مسرح الجامعة منذ حوالي عشر سنوات.. ومن منا حياته ليست مليئة أو محمّلة «بالأحبال»؟ هكذا تردد لها «نوارة» هذه الجملة دومًا، لكن «دينا» عندما تمرض تشعر بأن حبلا يلتف حول رقبتها حد الإختناق.. والأوقع أنها ترفض وبشدة القيود، تشعر إنها مجرد حبال لكبت حريتها، لكنها تحب "حبل المسؤلية" ولو طال بها العمر وأنجبت ستكون أسعد مخلوقة على وجه الأرض، فقبل أن ترى مولودها ستغذيه «بحبلها السرى».. وإن استطاعت ساعتها النطق والإفاقة من البنج، ستوصى بكلمات يملؤها الحب ألا ينقطع «حبل الود»، والحب والوصال، بينها وبين طفلها أبدًا.. ليخرج طفلها من حباله الصغيرة، أول صرخات الحياة، إنا نأتي الدنيا بصراخ، وعندما نفارقها نجد من يصرخ علينا أو حتى لا نجد، ويقطع عنا الله عز وجل حبل أعمالنا فى الدنيا.. بموتنا.

الساعة التاسعة إلا خمس دقائق، تتنبه «دينا» بوصول السائق داخل الأتوبيس.. رجل في أواخر الأربعينات، لطيف يربط الكرافات لآخرة في الصيف، يرتدى قميصًا بنصف كم يتقمص فيه دور الطيار المتقاعد، يحمل كوبًا من القهوة الغير محوجة، رائحة القهوة دومًا تثير شهية «دينا»، هي لا تكف عن حب القهوة، بل تعشق رائحة القهوة،

- توكلنا على الله دعاء السفر حد حافظه؟

لا أحد يستجيب له! واضح أن الكل يردده في سره...

- حقول الدعاء في المايك.

عزيزي أنت وسيم وطموح، ولكن مكانك ليس هنا، هذا الرجل يعامل السوبر جيت كشركة "مصر للطيران".. ويبدأ الأتوبيس فى التحرك..

- الرست الأول في «القاهرة» يا جماعة هناخد ناس حاجزة توكلنا على الحى القيوم.

تشرد «دينا» وتذوب في الطريق، هى عادة تعشق السفر، فهو في حد ذاته قدير على إخراجها من القيود والروتين، واستقبال دنيا جديدة تليق بهذه الشخصية الغريبة، ولكنها تشعر أحيانًا أنها وحيدة، قريبة، بعيدة.!!.. تنبهها كلمات السائق...

- حمد الله ع السلامة، من فضلكوا يا حضرات اللى عاوز يشرب شاي أو قهوة أو ينزل يشتري مية أو حلويات من «الماظة» معانا بالضبط نص ساعة علشان الطريق.. من فضلكوا مش هستنى حد ربنا ييسر لنا أمرنا.

سائق الأتوبيس ذو الشارب الأسود، لم تلاحظ «دينا» الشارب إلا في موقف «ألماظة» كم كانت غارقة بأفكارها، ولكنها لا تبالي عن شنب سائق مصر للطيران، تنزل «دينا» من الأتوبيس وتضع نظارة الشمس لتخفى عينيها.. هناك شخص يحاول اقتحامها وهي لا تعيره اهتمام]ا ولا حتى تعطيه فرصة!! كانت تجلس على الكرسي طوال الثلاث ساعات الماضية، لابد وأن تشرب كوب من القهوة يجعل البحث أسهل والتركيز

أعلى.. ليأتى بجانبها هذا الشخص و يتحدث بصوت عالٍ في الهاتف..

- أنا طالع الشرم دلوقتي.. آه عاوز أتابع البازار.. الواد «مينا» مش عارف يصد.. مش حتأخر تلات تيام كدا بالمشيئة.. لا يا عم حبات عند «بشوى» هبقى أروح البحر كدا وأشوف الدنيا حتمشى إزاي.

البحر؟.. الشرم؟، شاطئ سيدى بشر إياك؟! هكذا كانت تقول «دينا» لنفسها وهي تضحك بداخلها على هذا الشخص وعلى ما استخدمه من مصطلحات.. ثم يأتي لها بنفسه..

- ألاقي معاكِ ولاعة؟

تعطيه الولاعة بدون أن تتحدث معه أو تنظر إليه.. ليسترسل.

- معلش أصلي أخدت قرار "الشرم" بسرعة.. إيه نوع السجاير دى؟

«دينا» لا ترد عليه...

- أنتِ خرسة؟!

لا ترد عليه مرة أخرى...

- لا لا دا إحنا لسه بنقول يا هادى في الطريق طب نمسكه بس؟

لا تعليق من «دينا»..

- طب مش عاوزة الولاعة؟ رايحة فين طاااااه ؟

«إيه الناس الغريبة دى بجد، بيقول "الشرم" وصوته عالى ويستلف ولاعة، ومستفز في نفسه، والله أنا مش عارفة الطريق دا هيعدى إزاى؟ ببحره.. ببنتاكوره للى لابسه.. بسيدى بشره دا»

ثم يأتى «لدينا» السائق...

- أستاذة.. أنا متأسف، وعد مني مش هزعجك تانى، بس خدي ولاعتك من أخينا دا، خليها معاكِ علشان مش هنولع تانى سجاير إلا في «رأس سدر».. أما حضرتك فحتغيري الكرسي بعد إذنك.

- إزاي الكلام دا حضرتك؟

- أنا ما قلتش لحضرتك مش هتسافري، لكن فى إشارة جت إن الكماين متشددة ولازم يطلع معايا مساعد يركب في الكرسي علشان ما ناخدش مخالفة، غصب عني والله.. ولازم لما أعدي على الكمين يلاقوا جمبي مساعد دا هيوفر علينا وعليكوا إجراءات كتير.. أنا آسف والله مش بمزاجي.

- كلك ذوق ولا يهمك.

- أنا اسمي طارق.. لو حضرتك احتاجتي مني أي شيء طول الطريق أنا تحت أمرك.

- شكرًا يا أستاذ «طارق» كلك ذوق.. يلا تفضلي.

- أهلًا و سهلًا ست الخرسة؟

من الذى يحدث «دينا»؟.. نفس الشخص المزعج يجلس بجوار «دينا» الآن...

- أنا بقى يا ستي أحسن وأذوق، سيبتلك الكرسى اللي جنب الشباك علشان لو حبيتي، تقيلى!

أقيل؟!!...

- محسوبك يبقى «مايكل» عندي نص بازار في "الشرم" ومش متجوز طبعا!!!

لتقول «دينا» في سرها بالنسبة للحجاب إيه يا بعيد ؟

- أنت إيه حكايتك يا جدع إنت؟.. الأول تستلف ولاعة وبعدين تتكلم معايا بدون سابق معرفة، وبعدين تقولى أنتِ خرسة، وبعدين طلعت أحسن وأذوق منك.. إحنا أيامنا سودا مع بعض على فكرة.

- أيامنا؟!.. دول كلهم ساعات مالك «حِماية» ليه كدا؟ هاه خليكِ فريش.

«الغريب إنه بيعيد الجمل.. من المؤكد إنه «بغبغان بحبل».. جابوا وحطوا عليك يا بعيد.. اخرس بقى أنا مش فيقالك!!!

- حتنامي صح؟ ما لسة بدرى!!.. معاكِ سماعات؟

كل ذلك ولا ترد عليه «دينا»...

- طب أنتِ إسكندرانية ؟

لقد فاض بها!!!

- أومال كنت فى الأتوبيس بعمل إيه؟ بوصل طرد!!

- لا لا أنتِ حالتك مستعصية.. لو سمحت في إمكانية نشترى عصير؟

كان «مايكل» يسأل السائق...

- آه طبعًا تحت أمرك في شرم بقى.

ليضحك عليه باقي ركاب الأتوبيس....

لا أتوبيس ذنوب دا ولا إيه يا ربى؟.. هكذا تقول «دينا» فى نفسها منزعجة، و«مايكل» لا يكف عن الإزعاج..

- كنت عاوز إتنين كوكتيل وثلاثة مانجا.

- احمينا من عبيدك يارب.

كانت «دينا» عليها أن تقنعه أنها لا تسمعه، وضعت السماعات دون أن تستمع لشئ وأوهمته أنها نامت، كي يكف عن الإزعاج..مستندة برأسها على النافذة.. وأحلامها و«نوارة» و عائلتها، وعملها، كل ذلك يمر أمامها من النافذة الصغيرة، ولكن كل ذلك يمر سريعًا، بسرعة الأتوبيس.

شعرت «دينا» بشئ داخل قلبها الصغير.. بشئ يجذبها، أو شئ يأسرها ويأسر قلبها الذي طالما وصفه الآخرون بكل الأوصاف وكل المعاني وكل المصطلحات.. ها هو الأتوبيس يصل لأول كمين.. كلاب مرعبة، حراسات تبدو خاصة، بل تبدو خاصة جدًا، والسرعة تبدأ في الهدوء للهدوء ثم الوقوف وتستعد نفسيًا للتفتيش هي وكل من معها.. بداخل الأتوبيس.. ما بال «المايكل» يتابع الموقف صامت.. يا للعجب هل يصمت هذا الكائن؟.. وتبدأ القوات في التحري..

- كارنيهك لوسمحت.

هكذا قال الضابط للسائق..

- أهلا وسهلا اتفضل أستاذ "طارق".. نورت الأسفلت يا فندم.

- مش حنتفتش؟

- يا باشا عيب الكلام دا.

- طيب حضرتك شاكك فى حد؟

- لا يا فندم كله نضيف.

- اتأكدت بنفسك؟

- طبعا.

- بس فيه ناس هنا عاملة دوشة.

- مين دول؟

- لا خلاص يا باشا المسامح كريم.

- طيب طريق السلامة.

- طمنا لما توصل.

- حيحصل بإذن الله.

يخيم هنا الصمت.. هل هذا يعقل؟.. وهذا «المايكل» يصمت ماذا يجري؟.. هل الأستاذ «طارق» ضابط متقاعد مثلًا؟ ومال الصمت يخيم على العربة هكذا؟.. أكيد أنا أحلم.. لتستعيد «دينا» شعور بفوضى في قلبها، فوضى وأسئلة بداخلها.. من يكون "طارق" يا ترى؟ هل هذا بركة الحلم أم بركة الحبال أم أنها مجرد صدفة؟.. وفجأة بدون إنذار يقول مايكل لدينا:

- أكيد أنا قديس.

يقولها بنبرة خافتة وكأنه خائف..

- مين أنت؟

هكذا تسأله «دينا»..

- لا يا عم القديس.. الكلام واضح وصريح.. أنت دوشة وقسمًا عظمًا لو ما رجعت تسكت تاني، لأنزل بنفسى الكمين الجاي أبلغ عليك وأقول إنك إخوان وداقق (صليب) ومتخفي، حلّني بقى يا عم القديس لما يثبتوا.

- يا نهار أسود ليه كدا...طاااه؟

- هو كدا!.. أنا متحملاك بالعافية، كل ساعتين تغيب وتقوم تهري.

- ماشي ميعادنا نولع سجاير في «رأس سدر»

- يادي «رأس سدر» ما تسكت بقى.

- حاضر.

يقول «طارق»:

- باقي على «رأس سدر» ساعة أنا بنبه بس.

- يالا استعدي.

هكذا يقول «مايكل»...

بالطول بالعرض ساعة، رحمتك علينا يارب، استنفذت صبرها دينا..

- حمئية وخلقية لية كدا؟!

- والبعيد مستفز لية كدا؟

- لا خلاص أنا مش عاوز أضّرب، دا اللي فاضلي.. أنت واخداني وش من

ساعة ما اتهببت ركبت.. أنتِ وأستاذ «طارق» ومش عارف السبب؟

- فعلا؟!

- وكان فاضل يبلغ عني وكان حيبعنى في الكمين اللى فات.

لترد عليه دينا..

- ما هو من عمايلك وهرتلتك.

- أصل أنتِ مش فاهمة.

- آه مش فاهمة إيه بقى؟

- أقولك.. أنا إتمرمطت بما فيه الكفاية، جعت واتعرّيت واستلفت، وبعت اللي ورايا واللي قدامى في حلم النص بازار بتاع «الشرم» دا، وجيت الطريق دا بعدد شعر راسي، واللي زاد وغطّى الثورة وعمايلها.. إحنا اتخرب بيتنا هناك، وبنبيع بضايعنا بنص التمن، في ناس قفلت وصفت، وناس مش لاقية تبيع واشتكينا لربنا هنعمل ايه؟

- سوري يا «مايكل» خلاص معلش ماتزعلش.

- الله ما أنتِ طيبة أهو، مديانا إيحاء إنك بتاكلي البني آدمين ليه؟.. ولا إكمنك مسافرة لوحدك ولا ظابط ولا رابط.

ضحكت «دينا».. «فعلًا والله «مايكل» معاه حق بس بردوا مزعج مش عاوز يسكت.

- بس وصلنا الحمد لله، أخيرًا هشرب شاى.

- مش كان عصير من شوية.

- يا ستي أنتِ بتحاسبيني؟.. عاوزة مني فلوس؟

- لا.

- أمال إيه؟

- إشمعنى أنت بتغلس على خلق الله؟

- يا ستي أنا واحد بسلي طريقي.

كانت «دينا» بالفعل قررت استفزازه..

- الإستراحة الثانية «رأس سدر».

يبدأ فى النزول كل ركاب الأتوبيس، وتنتظر «دينا» للأخر، ويجاورها «مايكل».. وحين وقفت على سلم الأتوبيس لتنزل، وعلى مدى البصر، تجد أمامها «المركب الزرقاء».. وما رأته في الحلم «بالمللي» ليرتفع صوتها ولا تجد أمامها إلا مايكل... مااااايكل؟

- إيه اللي حصل؟.. إيه الحبال دي؟ و المركب الزرقا؟

يبدو أن «مايكل» في ذهول من طريقتها!

- وإيه المية الجارية اللي تحت المركب دي وكام حبل دول؟ انطق يا «مايكل»!!

- أنطق بإيه؟!.. وبتقولي عليا مجنون؟.. يا نهار أسود ومهبب، دا أنا مليش خلفة من الخضة، الحمد لله إننا نزلنا من الأتوبيس علشان الناس ماتتفرجش علينا..

وبدأت «دينا» تدور أكثر من دورة حول المركب الزرقاء و«مايكل»

في اندهاش من أمرها..

- أنتِ بتعملى إيه؟.. بتحجّي كمسلمة يعني!.

- اسكت!!

- لا مش هسكت!!

- إيه دا يا مايكل أنت «قديس»؟

انتهزتها فرصة لتخليص حقها من هذا الكائن المزعج..

- بلا قديس بلا نيلة.. أنا مش راجع معاكِ باقي الطريق.

- والله لأقعد في الأرض.

- هههههههههه.. يكون أحسن والله.. هو أنا ناقص دة أنا مجنون خلقة!!

تضحك «دينا» بالفعل في سعادة، وذهول.. بداخلها شعور غريب وجميل ورهبة وإجابات لأسئلتها شافية راضية.. أحيانًا أراضٍ بعيدة عن مخيلتنا تمامًا بها إجابات وصور وترجمة لخواطر عليا.. نراها في عالمنا الخاص.. مشاهد ما وراء العقل، هنالك قوة خفية بداخلنا تأخذنا لبعيد، وليس بالضرورة أبدًا أن نتجاهل ذلك، أو حتى نطلق عليه سرابًا، أو حتى درب من الجنون.. أحيانًا تأتينا صور أو رسائل أو حتى مشاهد بدون ترتيب ولا إنذار «دنيا ما وراء العقل».

إن ألوان المركب الحقيقية التي رأتها أمامها زاهية جميلة زرقاء حقًا أسرتها.. كانت «دينا» تطمح في حبال بداخلها، تراهم.. تنشغل بهم، لكن على ما يبدو أن «حبال الوصال» كثيرة متعددة ومتنوعة.. علينا ألا

نتجاهلهم أبدًا و لا نجعلهم مبعثرين بداخلنا، بل علينا أن نعرفهم أو حتى نبحث عنهم، لكي لا نضل أو نضيع أو نتشتت ولا تنقطع «أحبال وصالنا» أبدًا بالله، قد تكون قوى خفية بداخلنا يهبها لنا، ولكي لا ينقطع حبل وصالنا بخاطر الله الأعلى؛ يرسله لنا عز وجل كرسائل، كوسائل، أو حتى كصور بداخلنا وكمشاهد... ليقيننا أنه عز وجل.. أقرب لنا من «حبل الوريد»...

أربعون دقيقة

«آدم» وما أدراك ما «آدم»، يرتدي النظارة الأنيقة وتشرد عيناه بداخلها وتجوب في الأرجاء، كانت هدية من حبيبته، أقصد مَن كانت حبيبته.. هو يعرف جيدًا أنها معطاءة، ناعمة كرمال، شفافة كالسماء في ليلة صافية، بل يعرف بداخله أنها كالسحاب القطني، لا أحد يختلف على لون قلبها الأبيض.

كم كانت ممتلئة بالحيوية والشباب، هي كطائر النورس، حر طليق، يتخذ الحرية عنوانًا لا يتبدل ولا يتأثر.. ولكن الصرخة بداخله تـدوي لماذا تركها؟.. كان هذا السؤال داخل عقله بمثابة صوت لا يجعله يغفو، بل أحيانًا يوجه من عقله إلى قلبه بمنتهى الحدة.. لماذا تركتها قبل حتى أن تجف دموعها وقبل أن يجف دمعه؟.. أين ذهبت الوعود التي عاهدنا بها بعضنا؟ إلى أين ذهبت؟.. إلى سرابك أنت، كنت تعلم أن الشمس تشرق بداخل قلبها قبل سمائك أنت، محبوبتك التي انتظرتها سنين، وفرحت معها، وسعدت بقدومها.. «أأنت الوريث الشرعي الوحيد لغبائك؟».. كيف تسلل إليك الملل لهذا الحد؟ وكيف ماتت بك بعض المشاعر التي كانت على الأقل تحافظ على بقائك حيًا!!

إنما الإجابة الأصعب في الملل حين تسلل إليك، وجدك هادئًا سلسًا واستطعت أن تريح به قلبك بمنتهى السذاجة، بعدما كنت لا تستطيع

النوم إلا على صوتها، كيف توقف كل شئ؟.. إنك أنت من أطفأت النور الداخلي والخارجي لأوصالك.. و فجـــاة وبدون مقدمات ولا حتى مبررات لها ولك.

أتذكر حين نظرت إليك بأسى! ثم إلى السماء الواسعة وسألتك بعفوية «ماذا يدور بداخلك صارحني؟»، لكنك أنهيت الجملة «بلا شئ»، وكان ذلك كل شئ.. والكارثة أنه فعلًا لم يحدث شئ، كيف حالك الآن أيها الجبان؟ كم أنت تعس بقرارك الأهوج؟.. توقفت فى المنتصف، وكأنك عربة مستهلكة قطعت مشوارًا وكنت أنت وحدك بداخلها، أكنت تظن نفسك مغوارًا؟.. لكن الأوقع أنك لن تستطيع إدارة المحرك وحدك، بل ولا تريد استكمال ما تبقى لك من الطريق.. حائرًا، متخبطًا، ثابت الخطى لقرارك أنت فقط!!

تسأل بداخلك بلا جواب شافٍ.. يصرخ صوتك حد الاختناق ألا مسموع، لقد كنت سيد قرارك، عبدًا لهواجسك، وكانت هي تراقب كل هذا بصمت وألم.. من ضعفها أحبتك بلا شك، ولكنها ارتسمت لك خيالًا غير واضح على الإطلاق.. ماذا أعطيت لهذة المسكينة المستكينة؟.. أأهديت لها يومًا حبًا محطمًا بلا ضمانات؟، أهو يُعدّ هروبًا بلا مبررات؟، أم انسحاب أطاح بكل عهود الأمان!!.. أي أنثى تستطيع أن تتحمل كل هذا؟.. هل تبكي الآن على ما فات؟ أم على ما هو آت؟ إنك حتى لا تمتلك الجرأة لسماع صوتها أو الإطمئنان عليها ورؤيتها من بعيد.

كنت لها ذنبًا دعت الله ألا يغفره، كنت لها بيتًا من بيوت العنكبوت، وهنًا على وهن.. كيف طاوعك لسانك أن تقول لها أحبك، وليس لي سواكِ، وسبحان من سوّاكِ.. كنت لا تطيق حتى الابتعاد عنها حتى أنها قالت لك يومًا من الأيام.. «حبيبى أنت كدا بتطاردني مش بتحبني».. وكان ردك «استحملينى!!»

كان قلبك يخفق فوق دقاته دقات حين تراها، أين اندثرت اللهفة والشوق؟.. أين تناثرت؟ كيف تبعثرت بهذا الشكل؟.. ولماذا تأتي في نفس المكان الذي كنتما تجلسان فيه سويًا؟.. أتحاول أن تتشمم عطرها؟ ولماذا تصر على الجلوس في نفس المقعد الذي كانت تجلس هي فيه؟ أتظنها ستأتي.. كم أنت واهم!.. بل يظل المقعد الآخر خاويًا.. ولماذا تطلب من النادل كوبين مياه بجانب زجاجة مائك؟ ألديك أمل أو حتى وهمًا أنها ستأتي رغم كل ذلك!، ولماذا أصبحت تشرب قهوتك «سكر زيادة» وهي التي كانت تشربها كذلك، ولماذا ترتدي ذات القميص كل مرة؟.. أيذكرك بها؟.. وأنت تعلم وقلبك يعلم أنك لن تنساها.. ماذا تنتظر منها؟.. تذكر حين بكت لك وقالت «لماذا كل هذا وعلى ماذا؟» وأنت تلعب وحدك دور البطل الصامت، الصادم، دون جمهور!.. أتتلذذ بالعذاب؟ ويكفيك؟ هل هذا مرضٍ بالنسبة لك! أو حتى يبدو مُجديًا! لم يكن لا مُرضيًا ولا مُجديًا لك ولما تبقى لك من أشلاء نفسك.. لماذا لم تعد تسمع فضل شاكر ولو على سبيل المصادفة، وإن تصادفت بأغنية

له بالراديو توقفها في الحال؟.. ماذا تريد بداخلك؟.. تحولت قهوتك، وتقلبت موجتك.. كفى عذابًا ويأسًا وهمًا على سراب، اذهب لها الآن فى معرضها، ألا يكفى أربعة أشهر بلا علامات ولا كلمات ولا حتى رنة هاتف، الآن أفضل حتمًا من غد، لعلها تصفح، لعلها تسمع، لعلها حتى لم تسافر، لعلك أنت تستطيع أن تنام، أو تستطيع استعادة أى شئ، مما تبقى من لوح الزجاج الذي حطمته وحدك، جرحتها وشوهت نفسك بداخل كلمات غير مفهومة وأسباب واهية.. استعد ما تبقى منك وما لك من جرأة، وما تبقى لها من حرقة المشاعر.

إن الضعف ليس عيب أحيانًا، ولكن العيب هو أن تستسلم له أكثر من ذلك، وما الذى يبقيك على كل هذا؟ لم يعد للحياة لا طعم، ولا رائحة، ولا لون ولا حتى نكهة، إلا نكهة الألم فوحدها لك، لم يعد بداخلك حتى روح، إن لحظات التحرر من الاستسلام أفضل بكثير من البكاء والانهزام.

وبالفعل اتخذ «آدم» قراره، يمشى مهرولًا، كأنه يعوّض خطوات، ويختزل الساعات والأيام والشهور التي مضت، ولا يطيق حتى دقات قلبه، ولا الأصوات من حوله، ولا حتى عقرب الساعة التى يرتديها بيده، هى تحب الورد، ماذا لو اشتريت لها أنواع الورود التي تحبها؟.. أيكون ذلك أفضل بكثير من التحدث لأول دقيقتين، لعلي أرى نصف ابتسامة منها، الآن أرتضي بأنصاف الحلول، وأنصاف الابتسامات، إذا ابتسمت

لك!! لعل.. المدهش فى الأمر هنا هو.. لقد ارتسمت على ملامحه الجافة لشهور وشهور نصف ابتسامة، فقط لفكرة استعادة ولو جزء من روحها في مخيلته وذاكرته، بل وعقله اختزن رائحة عطرها، أخرجها في محل الورود، صارت بفعل فواحة الزهور الصافية، هنا يعيد بائع الورود على مسامعه السؤال.

- أرشلك معطر عليه يا بيه؟ يا بيه؟

- حضرتك بتكلمني أنا صح؟

- أيوة أرشلك عليه معطر؟

- لا..لا هي ريحتها معطر!

- هى إيه!

- ولا حاجة.

يحمل «البوكيه» بيده ويمشى مسرعًا، إنها الخامسة إلا خمس دقائق عصرًا كحد أقصى، باقي من الزمن خمس دقائق فارقة، منتظرة، يكاد قلبه ينخلع من ضلوعه من الترقب والخـــوف، يبدو أن صوت صخب عقله، مع صوت اعتلاء ضربات قلبه، يكاد ينفجر كالقنبلة التي أصبحت فجأة لمدة خمس دقائق موقوتة، بل والأغرب أنه يرتدى نظارتها ويخلعها في الدقيقة مرتين، هو يخاف عيونها، يخاف قلبها، يخاف منها، يخاف أن ترمقه بنظرة فيبكي أمامها، ولا شئ ساعتها يستطيع أن يوقفه.

في غضون دقيقة فقط من الانتظار، لفت نظره شاب يرتدى تيشيرتًا

وكابًا، ونظارة شمس به حيوية، يبدو أنه ينتظر حبيبته هو الآخر، أو أنه على ميعاد، إنما يقف في جرأة وثبات، لماذا حكم عليه أنه يقف في جرأة وثبات؟.. لربما لا يخفق قلبه مثل «آدم» في الدقات، لربما يثبت أكثر منه بكثير، لربما الوقفة في حد ذاتها توحى بالجرأة الغير مبالغ فيها، لكن الجرأة هنا تتفوق على المشهد، يتشمم رائحة عطرها تفوح، هي خارجة ويسبقها عطرها دومًا بخطوات، يعلو وجهها ابتسامة واضحة هادئة، بصرها على امتداد، وكأنها تستعد للحظة الانطلاق تقترب وتقترب، ها هى تمر بجانبه حد الالتصاق، ولكنها لا تراه! وبخفة وعفوية وحركة منها لا إرادية! تلتفت أمامه على الرصيف المجاور «الشـــاب المنتظر» وفي لمح البصر وبإطمئنان تقطع الشارع للوصول إليه، ويخلع هو الآخر نظارته ليمسك بيديها الاثنين بحفاوة ويبتسم وتبتسم هي الأخرى بوجهه برقة وبراءة وبحنين واضح، أما «آدم» فيقرأ شفاه الشاب من على بعد وهى تتمتم وحشتيني!.. ليرسخ المشهد بداخله مصعوقًا، هل هذا حلمًا أم أنها حقيقة؟ أمازلت هنا أم أني...؟! ماذا بك أيها القدر وماذا يجري حولي؟ وماذا يجري حوله هو.

تتشابك أياديهما.. ويختفيان.. إن خطواتهما تشبه بعضهما البعض، هما لا يمشيان على الأرض، بل هي كلها محاولات للطيران، ولكن «آدم» يستوقفه شئ بداخله، نظرة منها لحبيبها.. ما هذه النظرة؟ هو لا يعرف هذه النظرة.. هي لم تنظر له هذه النظرة أبدًا!

هي نظرة ممتزجة بأشياء كثيرة ومعاني أكثر.. هي نظرة بها افتقاد، شقاوة، على امتزاج بالأمان، على صوص من الفرحة يأتي لنا هنا بأطعمة كثيرة.. ويأتي من وراء هذه النظرة، الكثير والكثير.. هو لا يشعر بأنامله، هو بالفعل لا يشعر بشئ، لقد اختفيا عن النظر هذا على ما يبدو له، اختفت حبيبته عن أنظاره.. أقصد من كانت حبيبته.

يرفع يده بمنتهى الصعوبة، وكأنها لحظات الإفاقة، من جراحة لمرض لم يشخص بعد.. أي يد تريد تحريكها أيها المخدر تدريجيًا، اليد التي تحمل الورود أم اليد الأخرى، كل الأوصال هنا معطلة بالكامل إنها الخامسة والأربعون دقيقة!! لقد كلفك محاولة استيعاب المشهد أربعون دقيقة.. لأربعون دقيقة تقف هنا.. ما بالك أيها الوريث الشرعى؟ تمتع بإرثك الآن!! فما بالك أيها القدر؟.. وما بالك أيتها الساعة.. كيف حالك يا قلبي الآن؟ توقفت؟ أجبني لماذا صمت ياعقلي؟ أتعطلت الآن؟ توقفت عن الثرثرة والضوضاء؟ أم عن الصراخ والنحيب، أنا حتى لا أستطيع سماع صوت دقاتك، أتوقفت آلامي الآن؟ فقط أحاول جاهدًا أن أتفهم ماذا دار هنا؟.. يرد قلبه في غصة، هي لم تكن سعيدة معي على الإطلاق، لم أكن أعطيها الأمان، لم يكن قلبي لها بيتًا، ولا حتى استراحة، لم يكن قلبي يتحملها، أو حتى يستوعبها، بل كان بارعًا فقط في وداعها، إنها خيبة الأمل.

أنا لم يعد لي حتى ألم ولا أمل، الآن فقط أحاول أن ألملم أوصالي

كي أتحرك «لا شئ معي».. أنا حتى أحاول أن أستعيد الألم من التجمد الذي أبدو عليه الآن، ألمي الذي كان وما سوف يكون.. كل ما على هو أن أحاول حتى أن أنام.. فأنا لا أنام.. إن عقله وقلبه يستمعون لدوي أصوات التعاسة والصراخ.. حتى وريثه الشرعي الوحيد الآن، جمد كل مدخراته، بجانب مايرقد، بجانب الورد المجفف، الذي وضعه بجانبه على الكومو، إنه يسحب الأكسجين تدريجيًا داخل الغرفة، النور مازال مضاءًا بالغرفة.. وسيظل مضـاءًا.. لعله يمحو الظلام بداخله.. لعله يدخل بصيص من النور لقلبه.. لعله يجعله حتى ينام.

أطالت النظر في التابلوه

بعد مرور عدد من الدقائق هي لا تعرفه، لكن دموعها التي تتساقط أمامها بغزارة تحاول أن تحدده، تقريبًا كان أقل من نصف ساعة وأكثر من عشرين دقيقة، هي باهتة، حزينة، أصبحت وحيدة، متوجهة بسيارتها لتناول الغداء خارج «القرية السياحية» التي أتت لها هروبًا مما تبقى لها من أحزانها، وبعدما صفّت سيارتها الصغيرة أمام الرصيف بلا حرفية، هل هي تريد الوجع؟.. بالطبع لا.. أم أن كل ما تسترجعه من الذكريات خارج عن إرادتها؟!.. نزلت من سيارتها دون أن تغلق حتى زجاجها، ماذا يدور في مخيلتها؟ في كيانها كله؟ كيف تسلسلت بداخلها المشاهد المتتابعة، من كم هذا الوجع غير المبرر من قِبل هذا الرجل الذي كان.. الذي تخيلته أميرًا للحب، نعم تخيلته يومًا أميرًا.. ليس عيبًا.. تصورت أنه يشهر سيف الحب، بل ويحارب به بمنتهى الرجولة وبمنتهى القوة، لكنها أحسته مع مرور الأيام، بل الشهور والسنين مجرد غفير!.. نعم غفير بالكاد يحرس عقارًا قديمًا تقليديًا لذكرى الحب الموجعة والأحداث الغريبة.

بعدما أمضت في حبه ثلاث سنوات كاملة، أهداها ثلاث «بوكيهات»، بل تابلوهات من الورود.. نعم ثلاث فقط، بل إن آخر "بوكيه" أطالت به النظر وتركته هو والغفير على طاولة في آخر لقاء جمعهما بمنتهى الأسى، جاهدت حقًا أن تبقى، ولكن فات الأوان، كان تقليديًا للغاية حاضرًا

غائبًا، ليس لديه أمل، وفي الآونة الأخيرة كان يشعرها بمنتهى الملل، أهى حزينة عليه بالفعل أم حزينة عليها؟.. كلاهما خذلان، وضعف، وهوان، ولكنها أصرّت على الإحتفاظ بالقلادة، كانت ترتدي سلسلة فضية ورثتها عن جدتها، ولكنها بلا قلادة ظلت هكذا لمدة سنتين ونصف، فسألها في يوم لماذا لا ترتدي قلادة لهذه السلسلة؟ أهل من الممكن ألا أجيب هذا السؤال السخيف!..فكان الرد «لا»، الحقيقة أن سؤالك متأخر أوى!».. فلم يعلق على جملتها ببرود!.

كما أشياء كثيرة مثله تأتي مع هذا الرجل دون عناية، تقليدية، متأخرة، باردة.. كل ما يدور في مخيلتها يذكرها منه بخيبة أمل كبيرة.. فتنظر إلى السماء دومًا عن ماذا تبحث؟ تبحث عن ناقوس أمل، وها هي خيبة الأمل تبتسم لها الآن وكأنها تتجسد أمامها! تحاول ألا تستسلم، حتى أحلامها التي لطالما عاشت بداخلها هي فقط، توجه عينيها إلى الوردتين أمامها في الحديقة «وكانهم يبدو لها تابلوه» تطيل فيهما النظر مرة أخرى.. تمتد لهما يدها ببطء تتلمسهم ودموعها جارية، ما كل هذا الشجن؟ ومن أين يأتي؟ تذكري أنك في أجازة.. كأن صوتًا حزينًا يحدثها من داخلها وكفى.

تسمع صوت «أنغام» يتسلل لها مسموعًا من مذياع سيارة لا تعرفها (مبتعلمش... من غيرة القلب ما بيحلمش)...

لا إنها مؤامرة سخيفة، هجوم عليها بالذكريات فهى تعشق «أنغام»

هذا بمثابة هبوط اضطراري لطائرة أحلام.. أحلامها لم تحلق بعيدًا أبدًا حتى الآن، بسبب ذاكرتها أم بسبب احتفاظها بالآلام، في صندوق الآلام.. أهي خلقت لا تنسى؟!!.. ألم يخلق لها الله هذا الشعور.. النسيان؟! فالنسيان يعد من أهم النعم.. وها هى تتحسس القلادة التى اشترتها لنفسها لتملأ فراغ السلسلة.. راقصة باليه شاردة تقف على أطراف أصابعها متأهبة، رافعة يديها للسماء موجهة وجهها وعينها إلى السماء.. هذه الراقصة في نفس الوضعية منذ كثير، وتشرد بل تتحسس القلادة بأناملها مرة تلو الأخرى، وإذ يأتي من خلفها صوت يهمس.. «كفاية كده»...!

من هو؟ إنه الشخص الذي كان يحملق بها من داخل سيارته ولم تشعر به، ويستمع لأغنية أنغام ليقول لها «فاروق عز».. ليس هذا الصوت الذى تود سماعه الآن، بل صوت الحزن بداخلها هو الذى يتخللها في منتهى الأسى والألم، لم تلتفت له للتو، بل أطالت لمس القلادة مرة ثالثة متعمدة ذلك، أيستدير هو ويتركها ويحترم حزنها أم أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك؟.. ليقل «فاروق» الحقيقة..

- أنا في أجازة وحضرتك؟!

- من فضلك أنا مش حابة أي إزعاج.

- أنا متأكد من دا.

- أومال إيه؟

يفتح «فاروق» هاتفه ليريها شيئًا، لكن قبل أن ترفض يقول لها بنبرة تبدو خافتة حزينة تبحث عن الاهتمام أو عن الاحتواء..

- هي أشياء طبعًا ما متهمش حد!!!

تعجبها الجملة، فتستحي أن ترفض وتنظر إلى ما سوف يريها إياه وإذ بالمصادفة، صورة لنفس نوع الورد الذي تنظر إليه! ولكنه من شجرة أخرى ولكنها وردة حمراء يافعة جميلة.. هى وردة واحدة فقط، فتنتبه، ليبدأ «فاروق» كلامه:

- أنا الحقيقة بدور على حاجة ومش لاقيها.

- حاجة زي إيه؟

- بدور على مفاتيحي يا ستي.

- مفاتيح العربية يا ترى ولا البيت؟

- الحقيقة لا ده ولا ده!!

- لا مش فاهمة! وممكن يكون عقلي مرهق فمش قادرة أستوعب.

- بدور ياستي على مفاتيحي أنا «كفاروق» وسط الورد الجميل دا وخصوصًا وسط الوردة الحمراء اللطيفة دي.

يرد قلبها يا للعجب كم هو بسيط!!

- إوعي تقولي جواكِ الراجل دا بسيط، وليه مكنش عميق ومش قايل لحد، مش حتبتسمي؟!!

هى تحاول الابتسام لكنها لا تستطيع بالفعل، ويقدر «فاروق» ذلك.

- تعرفي أسامى الورود اللى أنتِ سرحانة فيها دى بقالك ساعة؟ تعرفي ألوانها معناها إيه؟ غير إنها هوايتى كنت قريت مرة كتاب عن معاني الألوان.

ترد باندهاش:

- الحقيقة اللى أعرفه أن «الأبيض» منتهى الصفاء والنقاء، أما «الأحمر» تقريبًا شدة الحب، «الأصفر» أظن للغيرة، أما البنفسجي فملك الحزن.

- برافو عليكِ.. دة أنتِ رومانسية بقى والورد مايعرفش.. بس «الروز أو اللون البمبي» بيفضلوه للاستقرار.

- استقرار في العلاقة تقصد؟

- بالظبط كدا.. ومن معاني الألوان اللى اتعرفت عليها إن «الأحمر» طاقة وحب وحرارة، أما «الأخضر» فتوازن وانتعاش وإصرار وتجدد، «الأصفر» طاقة وسعادة وذكاء ولمعان، نيجي بقى «للأزرق» ثقة، وإخلاص ووفاء.

كانت تنصت له جيدًا، تعجبها كلماته.. إن «فاروق» حقًا ملئ بالحيوية والأمل، لتقول:

- يعني معنى كدا إن اللون الأحمر والأصفر بيشتركوا في نفس الصفة؟

- دا حقيقي لكن مش معقول هلخصلك الكتاب كله في ساعة!!

كان «فاروق» يحاول أن يخرجها من هذه الحالة..

- أستأذنك ممكن تسيبي «القلادة» دي علشان تشاوري بأيدك وأنا أقولك الأسامي ما دمنا اتكلمنا في الألوان والمعانى.

الغريب أنها تستجيب له، و تترك بالفعل القلادة لتقول:

- هبدأ بالورود الكتير وألوانهم المختلفة دول هناك سبحان الله.

- أهاااا.. دول يا حبيبتى نوع اسمه «جهنمية» هم فعلًا كتير، دا ورد ياستي من نوع خاص وبيتكاثر بسرعة وبيتأثر بالحرارة الشديدة ومبينموش غير فيها وبيفتح بسرعة جدًا، تلاقيه مثلًا في أسوان، جزيرة نباتات، في المقابر الشيك، في الفيلل وفي شرم الشيخ طبعًا.

- فعلًا اسمه حلو أوي.

- حضرتك اسمك إيه؟

- اسمي «جيهان».

- حتصدقيني لو قلتلك أنا توقعت.

- لا حقول عليك بتبالغ!!

- جهنمية و«جيهان» بيبدأوا بنفس الحرف.

- هو اسم شيك ومختلف.. أنا اتسميت على اسم «جيهان السادات».

- تعرفي إن الإسم دا فارسي مش مصري.

- فعلا أصوله فارسية، فيه حاجة لافتة نظري هناك.. فيه ثلاث شوالي فيهم زى ما يكون، زرع أو نوع زهرة بس كبيرة شوية.

ينظر «فاروق» لإتجاه إشارتها..

- يا محاسن الصدف.. تعرفي إن دى فيلتي!

- لا أكيد ماكنتش أعرف.

- وأنا متأكد من دا، قولتيلى إيه اللى لافت نظرك؟

- دي زهرة على فكرة مش زرعة واسمها «بنت القنصل».

أشار «فاروق» على جيهان بسرعة وكأنه يصفها وابتسم بهدوء...

- زهرة نادرة شوية مش عاوز أقولك إن موطنها الأصلى في «المكسيك» لحسن تقولي عليا بيستعرض.

- لا ماتقلقش أنا قلت خلاص هههههههه.

- أخيرًا ضحكتي.

- بيتهيألى إنك السبب.

- مش حتقابليها كتير موسمها في نص الخريف للربيع.

- لكن إشمعنى دي متكررة على كل سلم من الثلاثة مرتين.

- الحقيقة إنى بحبها أوي.. زهرة جميلة، أنيقة، نادرة، مش متواجدة طول السنة.. دي صناعي على فكرة بس معمولة بتقنية عالية، لكن أول ما بيبدأ موسمها بكون أنا أول واحد يشتريها وبغرق بيها بيتي بالقاهرة، أنا لحد دلوقتى مقدمتش نفسي!

- لا إزاى؟

- أنا ما أقصدش الاسم.

يسير «فاروق» فى إتجاه الفيلا وتتبعه «جيهان» لا إراديًا، فبدت لهما اليافطة تظهر مكتوبًا عليها .. «فيلا ابن القنصل».

- مظبوط، أدي اليافطة قدمتني وسبقتني.

- مين دا؟

- أنا يا «جيهان» هانم «فاروق عز» ابن القنصل ودي فيلا والدي.

- شوفت بقى أديني نسيت أقفل العربية.

- مش مشكلة أبعتلك عم «منصور» يقفلها، المفاتيح من فضلك.

- اتفضل.

- على فكرة والدتى موجودة جوا.. صحتها تعبانة، عامل السن، فبتفضل تشرب القهوة في الجنينة وسط الورود لأنها ما بتقدرش تخرج كتير. ثم يصمت «فاروق» يريد أن يبدي إعجابه الشديد «بجيهان» لكنه يتردد، ربما لحزنها، ربما للمصادفة، ربما لقصر الوقت في التعارف بينهما، لكن «ابن القنصل» برغم كل ما يدور بداخله يتهور ليقول:

- أنا انتظرتك كتير!!

تنظر له «جيهان» باندهاش!! لكن قبل أن تنطق كان «فاروق» ينادي على عم «منصور» بصوته...

- من فضلك.. اقفل العربية اللى هناك دى بسرعة «لجيهان» هانم، والهانم الكبيرة لسه في الجنينة يا عم «منصور».

- موجودة يا «فاروق» بيه.

- طيب وحياتك تأمرلنا الطباخ باتنين قهوة من البن المخصوص بتاعى، سكرك أد؟

- ايه؟

تصمت «جيهان» حائرة! ماذا يحدث في دقائق، ليرد «فاروق»:

- خلاص سكرها زى سكري يا عم «منصور».

لا تستطيع «جيهان» بداخلها إنكار شعور يتسلل إليها، يعجبها إقدام «فاروق» بالرغم من أنها لاتميل إلى الاقتحامات أبدًا، لكن «فاروق» بالفعل انتشلها من حزنها، ومن الاستسلام للألم، كفاها ألمًا وكفاها وجعًا وكفاها ذكريات، نطقت «جيهان» قلقًة:

- هو إحنا هنعمل إيه؟

وكأنها أسيرة لدى «فاروق».. إن «فاروق» لا يحضر شيئًا على الأخص أنه لأول مرة بحياته يفعل ذلك التصرف، هو لا يشاغل أحدًا ولا يقتحم أحدًا بالفعل؛ ولا يعرف بداخله ما الذى جعله يتصرف كذلك وما الذى استوقفه، وستتأكد «جيهان» بنفسها من ذلك بعد أن تعرفه جيدًا، قرر «فاروق» أن يكون على سجيته في الرد حتى آخر حرف.

- أنا من رأيي إننا نمسح الصورتين اللى أخدناهم من غير ما نكون مع بعض.

- ياااه دا أنت متابع كمان إني صورت الورد.. وبعد ما نمسحهم؟

- هناخد صور جديدة يا «جيهان».. وليا طلب من فضلك، أتمنى إنك تقلعي السلسلة دي.

- تقصد القلادة.

- تكون القهوة جهزت.

في نفس التوقيت يقولان..

- بشربها سادة.

فيبتسمان.. سبقها «فاروق» بحوالي خطوة ونظر لها قبل أن تدخل الفيلا لتشعر بأمان.. ثم التفت لها ليقول:

- أنا حبيتك!.. أقصد حبيت الورد.

صمتت.. ولكن بداخلها ابتسامة عريضة جدًا متوسمة خير.. ممسكة بخيط «ملون» وردي منزوع الملل ملئ بالأمل، لبداية قصة حب جديدة...

سهم كيوبيد 2020

تلك الصغيرة الغريبة على رصيف القطار، روحها مرهقة لأقصى الحدود تتلو دعاء السفر بقلبها وتمتمه شفتاها أيضًا ولكن بداخلها، حائرة.. وتشتعل في قلبها وحدها ثورة عارمة، لكنها تدعو الله، هي المثابرة، المقدامة، الشجاعة، التي لاتهاب موقف، وللأسف لا تخشى أحدًا أيضًا.. تلك «المتحررة» التي لطالما أحبت الحرية، بل ودافعت عنها، هي لاتخشى القيود.. هى الجريئة دائمًا وأبدًا.. ولا يمنع أبدًا أثناء إرهاقها وحيرتها، أن تتلصص على المشاهد التي تحدث أمامها لربما انطفات هذه الثورة بداخلها، لربما انشغلت، تتلفت أحيانًا ويلتفت لها المارة أحيانًا أخرى، وهنالك سؤال بأعينهم، هل تقصدين القاهرة العاهرة الساهرة، بليلها الساهر؟.. بينما هي تمر أمامهم مرور الكرام، في خفة وزنها وخطواتها السريعة وكأن القطار هو حبيبها الغائب، الذي تنتظره كل فترة، هي نفسها لا تعرفها، فعلى الرصيف أمامها شاب دفعة جديدة من الجيش، أو أمن حربي، أو حتى مسافرين على نفس الرصيف.. تسأله.. ويأتي الجواب منه، سيصل القطار إلى القاهرة بعد سبع ساعات!! لتنظر إليه مندهشة.. هل من المعقول و المقبول؟، ذلك الشاب الأسمر الذى خط شاربه في قرية لا تعرفها، وليس لديها الوقت الكافي لذلك، تكاد تتكهن أنه اليوم الأول له في الخدمة، بعد ما قرر أن يأتي للمدن يزيدها ازدحامًا ليس بجسده الضئيل، بل بغبائه الذي يحسده عليه عائلة أبو

إسماعيل بالكامل.. تنظر له ثانية مستنكرة.. سبع ساعات! لقد عبرنا فى ست ساعات أيها الأبله!!.. تتركه وهو بكامل قواه العقلية كي لا يؤثر على قواها العقلية، أما نسبة الأكسجين فتنخفض تدريجيًا في الهواء.. إنها الإسكندرية المارية في أوائل شهر يوليو، ليأتي لها حامل الحقائب قائلًا:

- أساعدك يا هانم؟

تشكره بإيماءة ونصف ابتسامة.. إن الحقيبة بها عجلات ويجب عليك أن تستحم أيها الرجل كي لا يفقد من تحمل له حقيبته الوعي، والشاب الآخر الذي يسير خلفها، وأنفاسه التي تكاد تحرق قميصها القطني الذي ترتديه فهي دائمًا تخشى التعرق، تستدير هي لإتجاهها، ويستدير هو معها ليسألها:

- القاهرة؟

- إن شاء الله.

- إذن احذري إنه الرصيف الخطأ!!

تندهش بداخلها!.. ما كل هذه المعلومات المغلوطة، هما رصيفان أيها المجنون هكذا تقول بداخلها، الرصيف الأول القطارات القادمة من رمسيس ذاهبة «لمحطة مصر بالإسكندرية» ينزل منه المسافرون القادمون من القاهرة كعكس الإتجاة، فلا ترد هي عليه ولا تعيره حتى اهتمامًا، تسمع صوت القطار القادم الآن على يمينها من القاهرة والفضل كل الفضل في ذلك هو سكون الهواء وارتفاع نسبة الرطوبة مع كل ذلك

كادت أن تختنق، إذن الحل زجاجة المياه التي تتصبب عرقًا منعشًا، بداخل الثلاجة أمامها، فهي تشعر بالعطش وبالحرارة الشديدة، وبعد أن شربت أكثر من نصف الزجاجة، يصل وفد الأجانب، هل يستقرون بجانبها؟.. معهم أكثر من مرشد سياحي عند رصيفها وموكب التأمين إلي أين ستذهبون؟.. «خدوني معكم، هم حوالي تلات أو خمس جنسيات معًا.. إنجليز وفرنسيين، وروسيين وألمان، أنا على أتم استعداد أن أعمل لديكم مترجمة، لعلي أتخلص من إرهاق روحى، أعمل حتى ولو بدون أجر، فأنا أعلم ما لا تعلمونه باللغه العربية.. تشرب حتى ترتوي من الزجاجة مرة أخرى فتكتفي وتستدير.. يأتي أمامها المارة في اتجاهين ولا تعرف حتى لماذا استدارت، ما هذا؟ وما هذه الحركة الغريبة؟.. إمم إنه تأمين للأجانب ذوي «الباسبور الأحمر»، على يسارها بدلة بيضاء يرتديها صول، يحمل لاسلكي متهالك والصوت بداخله «متحشرج»:

- كله تمام عندك؟

- آه يا فندم.. هم وصلوا على الرصيف ناحية عربية درجة أولى يا باشا وعطينا ضهرهم.

- طب خلي عينك عليهم.

- حاضر يا فندم.

وتعليمات أخرى ليقول...

- حاضر يا فندم!

ماكل هذا؟ مطاردات غرامية وأخرى بوليسية، بل وحوارات جانبية.. وصول قطار آخر من الجانب الأيمن وتلوث سمعي، يتخلله نقص أكسجين ثانية، دقت ساعة المحطة العتيقة وصوت المذيع، بداخل كل هذه الضوضاء تتمنى ألا يذيع، هذا الرجل لا يصلح أن يذيع هنا بجانبها.. صوته رديء لكنة يذيع، وصول قطار 912 على رصيف سيدى جابر المتجه الى أخر محطة بالإسكندرية "محطة مصر" بعد خمس دقائق يتسرب لها الملل.

تحاول أن تختفي داخل وجوه الوفد، والناس الغريبة عنها، وبائع الجرائد، وصاحب المجلات، المار أمامها بمجلات، الحقيقة أنها قرأت قبل ذلك حوالى ثلاث أو خمس مرات، وهو مصمم على بيعها للمارة بحجة التسالي، أما عامل البوفيه فهو يغسل العربة الآن «بجردل» ومنشفة لا أستطيع حتى أن أمسح بهما حذائى المكشوف صيفًا خوفًا أن يتحول من اللون الأبيض إلى الأسود.. ضوضاء يتخللها ملل يتخلله صمت!

يستند هو على عامود الرخام بوقار أمامها، رجل يبدو أربعينيًا على الأكثر، يبدو هادئًا ولكن بداخله بركان، يحدق بها فتنظر له للحظة... بل للحظات، ثم تدير وجهها على الفور حتى لا يأخذ النظرة عليها، أو يأخذ فى الاعتبار، أن ما يحدث فى هذه اللحظة هو إعجاب تجاهه ولا تعرف درجته أهو درجة أولى أم ثانية؟ على حسب التذكرة، لكنها مرهقة، وروحها مرهقة جدًا، تشعر من داخلها أنها مزدحمة لأقصى حد

لما مرت به من أزمات في الأشهر الثلاثة الأخيرة، ونفس الفترة تسبقها ثلاثة أخرى، حتى آخر قطار ركبته منذ ثلاثة أشهر أيضًا، ولكن في ساعة مختلفة وتاريخ مختلف ووقت آخر، بل وشعور آخر، ثم فجأة!! ترفع كتفيها الأثنين، كلغة جسدية متعجبة بداخلها من كل هذه الفترات أمام الجميع! في لقطة بريئة منها لا تقصد بها أن تشاغله فعلًا، وإذ بكل الناس أمامها تتحول لتماثيل شمع للحظة قدرية ويبقى فقط بالمشهد «هو وهي» يحدقان ببعضهما البعض، ثم يبدأ هو بالضحك وحده.. ما هذا الاستفزاز أيها التافه، الرشيق، الوسيم، الوقور؟.. ما هذا الجنون أيتها المتحررة، المرهقة، الحائرة؟.. وأي رياح أتت بك في هذه الليلة؟ من رطوبة لجو كهذا، وفي ليلة من ليالي الإسكندرية المارية الساخنة جدًا، وفي حركة فجائية منها كحواء لآدم، وبدون تفكير في مخيلتها ولا حتى حسابات..

- تذكرتك لو سمحت!!

- حضرتك يا فندم بتكلمينى أنا صح؟

- أيوة يا فندم.. تذكرتك من فضلك.

يلتفت بارتباك..

- فيه حاجة حضرتك؟

- لا أبدًا.

- طيب حضرتك كنتِ بتكلمي نفسك من شوية!

فى تعجب من نفسها شديد..

- جايز بكلم نفسي.. فيه مانع؟

- على العموم أنا اتشرفت بيكوا جدًا على فكرة هههههه.

- اتشرفت بيكوا...ازاى يعنى؟

- أيوة ما حضرتك جاية بجيشك؟

- جيشى!! آاااه.

ترد بنصف ابتسامة، وروح مرهقة..

- معلش بتحصل عادى.

ليسألها هو باهتمام..

- يا ترى ضغط شغل، ولا فركشة علاقة، ولا عباسية؟

- عباسية؟.. يبقى حضرتك قهراوي.. اسمها المعمورة بما إنى إسكندرانية!

- المعمورة والمنتزه أشهر أماكن في إسكندرية.

- أشكرك على المعلومة الحقيقة.

ثم تقول بلهجة مختلفة:

- إحنا حنهزر هنا؟!.. تذكرتك.

قالتها بلهجة مختلفة..

- مش لطيفة أنتِ على فكرة خالص.

يبدو أنه قالها بخوف!!

لترد هي:

- شكرًا على فكرة.

- على العموم "المجانين" بيكون دمهم خفيف ومسالمين عكس ما الناس فاكرة.

لترد هى علية متأنية.

- معلش المرة الجاية.. ممكن تطلع التذكرة لو سمحت، الساعة ثمانية إلا تلت والقطر هيوصل ثمانية بإذن الله، فمفيش وقت.

يخرج لها التذكرة بالفعل وفي سرعة البرق تقرأ الميعاد ورقم القطار و هي تشعر به وكأنها تراه يحدق بها ويحدق بتفاصيلها ويبتسم، بل ويتسائل بداخله..

- حضرتك مش حاجزة صح؟

- لا الحقيقة مالحقتش أحجز.

- طيب أحجزلك أنا بالتليفون.

- ليه يعنى بالتليفون؟ هو مين حضرتك؟

لم يرد عليها، ثم يمسك بهاتفه فعلا ويتحدث..

- خلاص مفيش فايدة، مفيش حجز طيب أستأذنك هعمل آخر محاولة إدينى خمس دقايق وهرجعلك تانى.

- لا أبدًا ما يصحش.

ويبدأ هو بالجري، متظاهرة هي أنها لا تعيره اهتمامًا!.. يتولد لديها شعور، وكأنها تعرفة جيدًا، أو تعرفة منذ زمن.. هو لن يأتى... إنه فقط

حماس «الرجل الشرقي».. لكن بعد دقيقة واحدة تبدأ عينيها بالانشغال علية... وثلاثة أسئلة تدور بداخلها.. متى ستنتهي الأحداث التي جعلتها مرهقه لهذا الحد؟.. ما الذى جعلها تصدر إيماءات أمام الغرباء؟.. وما الذي جعل عينيه تنشغل بها بل ويحدق بها؟.. هذا الرجل الشرقي... بعد ثانية واحدة اختفى، فى زحام أفكارها، فى زحام أيامها، فى زحام إرهاقها، فى زحام العمل، فى زحام الدنيا، أم في زحام الذكريات.

ما الذى جعل هذا «الرجل الطفل»... يحدق بها ويلفت نظرها ويضحك على إيماءاتها وهو يتصبب عرقًا، فى أسوأ يوم حر مر عليها فى شهر فردى. منذ أن بدا الصيف، كان يحدق بها وخشت أن تحدق به، ويتحدثا ثم يختفي.. أهي الأقدار أم إنها مجرد صدفة؟!!. تسأل روحها مرة أخرى ما الذى يحدث؟ وفى خفة وسرعة ورشاقة يأتي الوقور من بعيد... هو لا يحمل حقيبة سفر، يرتدي ملابس رياضية، ولكنه فى منتهى الأناقة... طويل، ذو ملامح ذكية جدًا، ونظرة ثاقبة، يبدو هادئًا مبدايًا، وفى نفس الوقت خجول.. والأدهى عيناه عسليتان تشبه عين «مولانا العاشق» وسط كل ذلك عرق غزير يأتى به مجددًا، ليقول:

- للأسف شباك التذاكر قفل يا فندم فعلا... فمافيش وقت..هو إنتى بتبصيلي كده ليه؟

- أبدًا لحاجتين ما فيش وقت دى كلمتي أنا!! لازمة عندي في كلامي واستغربت بصراحة كمان إنك رجعت.

- كنتِ فكراني مش راجع. صح ... بصراحة اااه!!!

- أنتِ متصورة إني راجع علشانك، أنا رجعت عشان مسافر.. وضحك.

- ذوق أوى أنت بصراحة.

- وأنتِ واثقة من نفسك أوى، وأنتِ بتكلمى نفسك.. وبعدين تعالي هنا لما أنتِ واثقة إنى مش راجع تانى، إدورتى ليه وبصيتى على السلم المتحرك اللى هنزل منه؟

- أهو حركات...فضحك.

- ومش أول مرة تتدوري.. فاكرة نفسك نقطة ارتكاز الأرض؟.. مش فاهمك.

- دا أنت متابع الحركات وراصد التصرفات.

- شخطّي فيا وقلتيلى طلع التذكرة وأنا إيه طلعتها زي التلميذ بالظبط!!!

- ليه خفت مني؟

- لا خفت عليا.. عندي ولاد عاوز أربيهم.

يقولها ويضحك...

- وأحاول أحجزلك وفي الآخر تقولي استغربت إنك رجعت!

- إيه دا؟ يا ساتر يا رب هما منعوا الناس إنهم ينفّسوا عن نفسهم.

- لا بس ممكن أجيبلك البوليس على فكرة.

- طب حلو أوي الكلام دا كويس إنك رجعت تاني فرصة نضيفة

- يا نهاري دا أنتِ بايعة القضية!

- طبعا بيعاها ومن زمان على فكرة.

- طيب على العموم أنا بهزر بس الرصيف فعلا مليان، بوليس، ومباحث، وموكب بيتأمن.. أصل القطر دا رايح أسوان!!

- وأنت عرفت الكلام دا إمتى؟

- أصل خدامك بيشتغل «تاجر عبيد».

- بص أنا فعلا مش فيقالك.

- ولا أنا على فكرة بس أنتِ فعلا قضية لوحدك! وحكاية...عاوز أسمع تفاصيلها.

- والحكاية دى خلصت دلوقتي يا عم «تاجر العبيد» المتألق في نفسك أنت.

- لا بقولك إيه؟.. أنتِ زودتيها أوى.. على إيه بقى العوجان دا كله بتشتغلى إية يعنى؟

- بشتغل «أوفيسة بوية»!!

- سورى!! إيه دا منصب جديد.

- آه أومال إيه؟

- ومكانك فين؟

- في مطبخ العمل طبعا.

- هههههههههه دمك خفيف مش هقدر أنكر... إسكندرانية؟

- تقدر تسأل البوليس اللي على الرصيف وخليه يقولك !

سبق أن نوهت أنها «إسكندرانية» في بداية كلامهم، ولكن يبدو أن كلا منهما اختطف الآخر في الشعور، ومع كل ذلك كل منهما لا يريد أن يبتعد عن الآخر.. صمتا لدقائق، يتأملان بعضهما البعض، لكن وصول القطار قطع هذا الصمت..

- هاتي إيدك بسرعة.. يالا مافيش وقت.

وفي دقيقة أخرى كانت يد «الصغيرة» في يد «الوقور» يختطفها ثانية.. شعرت باختلاف، شعرت بألفة، ثم بخوف!. لتسأله:

- أنت تعرفني؟

- لأ طبعًا.

- ولا أنا أعرفك.. أنت بتتصرف معايا كدا ليه؟.. أنت غريب على فكرة!

- مش أغرب منك على فكرة!

استخلصت يدها داخل القطار منه بأعجوبة، بالرغم أنها لا تريد حقًا ترك يده، وإلى أي مدى يتمسك هو بيديها، شعر وكأنها كانت غائبة عنه وعادت، أما هي فداخلها أسئلة كثيرة.. يبدو أن ثورة قلبها هدأت وجزء من نيرانها انطفات.. لتتسائل بداخلها؟ أيعتبر تصرف أحمق منه؟ جائز! أم تصرف بديهي؟ جائز!.. أم أنه قدر اللقاء.. يأتي لهما في ثوب جديد؟ ولماذا يخيفها هذا الشعور المفاجئ ماذا تخشى؟.. هل تخشى الحب؟، هل تخشى الارتباط؟ هل تخشى كل ما هو جديد يطيح بها وتطيح به؟.. لكنها تستمع بداخلها لكلمات صديقتها التي

قالتها لها قبل السفر بساعة.. «كم أنتِ متعبة يا حبيبتي وكم أن روحك مرهقة أيتها الصغيرة البريئة؟، كم أنتِ محتاجة لمن يحنو عليك، كم أنتٍ محتاجة إلى من يحنو على قلبك المجهد، أو حتى يضع يده في يديك الصغيرتين لكى يحتويهما».. لماذا ما زال يحدق فيها هكذا؟ لماذا لفتت نظرة؟ لماذا لم يتشتت انتباهه عنها؟ وظل ينظر لها ولماذا لفت انتباهها المشتت بكل المقاييس؟ ولم الحزن؟ حقًا تريد أن تصمت كل هذه الجمل بداخلها ما سوف يكون يكون.

كان من الممكن ألا يعرض عليها من البداية محاولة أن يحجز لها مثلًا، وكان من الممكن أن يذهب ولا يأتي، ويركب عربته أيًا كانت و«تتوه الخطاوي» بينهما، ولكنه أصرّ أن يكون معها وأن يبقى بجوارها.. يقول:

- إحنا ما عندناش اختيار تاني الحقيقة.. عندنا تذكرة وشخصين.

- والمطلوب؟

- تقدري تتفضلي تقعدي طبعًا يا هانم وأنا هفضل واقف أحرسك، أقصد أحرس سعادتك.

قالها بهدوء ليس مصطنع على الإطلاق...

- لا طبعًا.. مايصحش.

- عن نفسي مش هقعد أنا الراجل هنا.. هنفضل واقفين إحنا الاتنين ونبيع التذكرة دي وناخد فلوسها نشرب بيها قهوة ومية معدنية مثلًا!

ماذا يوجد في هذه العربة؟.. البوليس، المباحث، ووفد السائحين

المؤمن، والأهم التكييف كل من كان على رصيف القطار كان يحتاجه وبشدة.. الكل كاد أن يحتضر..

بعد مرور خمسة عشر دقيقة، جلست هي على المقعد مستسلمة، كان آخر مقعد بالعربة، ووضعت أرجلها ملتفة حول بعضها البعض ليظل هو واقف خلفها يحرسها كما قال ثم أطال هو النظر بها أكثر... لكنه ظل واقفًا وراءها بثبات..

- أنتِ اسمك ايه؟

- هقولك لما نوصل القاهرة.

- وأنت اسمك ايه؟

- هقولك بعد ما نشرب قهوة.

- على فكرة.. قلبك طيب أوي.. على كل اللي بتعمليه دا.

قالها وهو يحاول أن يطمئنها تجاهه...

- و دا عرفته من فوق الكرسي؟

- أول حاجة أنا مابفضلش الصوت العالي.. وما بحبش العند كمان.. دا غير إني ما بحبش حد يهزر وأنا بتكلم جد.

- حصلنا الرعب يا سيدي على روحك مش عليا.

- اللي هقوله دا مش هقوله تاني، أنا مسافر فى القطر ودى صدفة عمري حقيقي علشان أقابلك! أنتِ بس.. واللى أقوله يتقالي حاضر من فضلك.

كل ذلك تستمع إليه وهى جالسة على الكرسي متعجبة من أمره

لكنها لا ترد عليه بالفعل.

- عاوز أشرب قهوة...تبتسم..

- ولا مستعجل تعرف إسمي؟

يمسك رأسها بيديه الاثنين ويقبل رأسها وسط دهشتها ليقول:

- بصراحة قلبتي دماغي.. وكأني.. مش عارف هتصدقيني ولا لأ؟ «كأني غايب عني شئ وردلي»

صدقته هي من داخلها بالفعل لكنها لم تصرح بذلك.. ثم سار بهم القطار متجهًا فى طريقه وبسرعته، حاسمًا كل منهم أمره مبدأيًا بداخله، آخر كلمة سمعناها بداخلها، «ماسوف يكون يكون، أنا لا أخاف شيئًا»، أما آخر كلمة سمعاها بداخله.. أنا مش مصدق لحد دلوقتي من جوايا إني لقيتها خطفتني من ساعة ما عيني وقعت عليها...

عانـــــقيني

يأخذها الحنين وتناديها الذكريات، تسافر خلف هذا الشعور، لا تعرف خوفًا منه أم طمعًا فيه!.. تبتلع ريقها فتجد طعم اليوم مختلفًا، ممتزجًا بفرح حزين! بوحشة لأيام فاتت وشهور غابت وسنين أخرى قد مضت.

يناديها الشجن فتلبي، تحاكيها ذكرياتها مرة أخرى... تطاردها أحلامها، مازالت ترى بيتها القديم فى أحلامها، وكأنه هو الوحيد المسكن، والمأمن، إن إرتباطها بهذا البيت العتيق وثيقًا يستقر فى أعماقها، يفيض على أوصالها بل يحاورها.

ترتدى ملابسها، تقرر أن تذهب إلى البيت الذى قضت به أكثر من نصف عمرها الحالى.. طفولتها، شبابها، حكاياتها.. وكأنه يناديها بصوت خافت، لا أحد يستطع سماعه غيرها! ولا أحد يستقبل إرساله، أو حتى يفك شفراته، ويحتفظ بأسراره.

تصل إلى شارعها القديم، تغنى ذاكرتها بهذا المقطع «الفجر بيلاقي المغرب، وبييجي ويروح والليل يطل على الشارع شباك مفتوح، هنا الرصيف وهنا السلم وهناك ياسطوح متعلقة كمام النونو فى ديل فستان».

تتشمم من على بعد رائحة بيتها يتملكها الحنين، تدمع عيناها، تتجمد أوصالها، تتأنى بخطاويها، تلقى نظرة على اليمين واليساروتواصل

السير، حتى الرصيف تسلم عليه طالبة من قلبها الثبات، لا أحد بالشارع الآن، تشعر بسكون الليل ولكنها لا تشعر بخوف.. لتتسائل بداخلها أين ذهب زخم الحياة هنا، وهناك...إن السكون هنا يعزف منفردًا مثلها تمامًا، بل يخيم عليها الهدوء.

«إنها ليلة خريفية» قصيرة فى نهارها يطول ليلها، ها هى وصلت أمام البيت، تحديدًا لا أحد بجانبها عدا حارس «الكنيسة الإنجيلية» بجوار البيت، وضوء عامود الإنارة الخافت بالشارع ليلاً.

تنظر إلى صديقتها «الشجرة» ليقل قلبها بأسى «وحشيتني»... صديقتها التى طالما ضللت عليها وداعبت شباك غرفتها بأغصانها، الآن لا تمتلك إلا محادثتها من بعيد، تستند على عربة قديمة أمام المنزل وتخرج ورقة وقلما.

"تمسح دموعها فى عجالة كى لا تعطل سطور الرسالة لتغوص بداخل الشجرة وتخط إلينا"!!!

« سامحيني... لم أستطع أن أعير الخريف إبتسامتي، لكنك كنتي أكثر منى سخائا، فأهديتيني بعض من أوراقك المتساقطة، «شجرتى» بعدما كنت يافعة فتانة،أصبحتي أقل جرآة بكثير عما كنت عليه أو بمعنى أخر جبانة.. ربما تبدو...عليك علامات، أو خطوط،أو حتى تجاعيد، ولم أكن الحظ عليك ذلك من قبل، كانت تكسوك أوراقك بمنتهى السعادة، أما ربيعك كان خلابًا مبهرًا ساحرًا يأخذك إلى هنا، ويأخذك إلى هناك بل

يأخذك إلى أبعد مكان ويسافر.. جريئًا، مقدامًا، مثابرًا، مستيقظًا، داخل أوراقها أو حتى داخل وريقاتها التى كنت دومًا أتابع نموها بمنتهى السعادة.. ماذا عنك أنتِ يا صغيرتى؟ بعدما تساقط ورقك واحدة تلو الأخرى أمام عينيك، تخطو عليه الأرجل، فى حركات عشوائية، لا إرادية لن تستطيعي وحدك منعها فالخطوات فى حركة وعجلة.

تتشابه مع عجلة الزمن «حبيبتي» حاولي أن تسترخي بفروعك، ولا تكوني أبدًا متأهبة، فإن عاجلًا أم أجلًا ستشتد عليك الرياح، وأنا حقًا أخشي عليك، فحافظى على جذورك بالثبات وإياك أن تستجيبي لإقتلاعك أو تستسلمي، مهما كلفك الأمر من فقد بعض من أوراقك أو حتى أغصانك، بل إبقى بمكانك حتى لو تساقطت أحلامك مع وريقاتك، فضاعت، وتناثرت، أو حتى ذبلت أغصانك.

«تذكري» لطالما سهرنا وحكينا، أو حتى غنينا وها قد بكينا... إحتضني المارة كما عودتيهم، بل ضللي عليهم بظلالك، وإياك أن تثوري أو تغضبي بل إنفضي عنك كل الجفاف ولا تبالي... ولا تخجلي أن تسألي عني ولا تخجلي أن تقولي حتى كيف حالي؟

أتستعدين الآن لانهمار مياه الشتاء، فلتستعدي لي ولكِ، ولا تنسي أن تبوحي لي عن سر لونك المفضل! بعد الأخضر كي أحضر لكي شال يكسيك من التعرى ولا يقسو عليك أبدًا من برد الشتاء الأولى.

كوني شامخة «محبوبتى»، وانظري إلى السماء، ولا تترهلي، بل

ابتهلي وتضرعي وسبّحي! إني أعرف جيدًا ما هو حالك الآن؟ يفوق عليك النخيل عاليًا صامدًا.. ممشوقًا، يكسوه الإحمرار مزهوًا، ساحرًا، والإصفرار الباهي، بل أحيانًا ما طاب من الأسودِ.

«حبيبتى» تأني ولا تتعجلي.. فمهما طالت المدة، سيأتى عليك ربيعك فى أروع وأبهى الصور، برقة الفراشات وبألوانها المبهجة، وجمال الأزهار الخلاب، ودفئ أشعة شمسك الوهاجة.

وما بين «الوعد والعهد».. كم عاهدتيني وانتظرتك، وكم تباعدت الخطى وضمّت، وها أنا أعدك أن أهديك كل ابتسامتى، فتعيريني، وتمدينى، بألوانك المبهجة المدخرة، أو حتى تهاديني بجزء من إبتهالاتك يا صديقتي كم أشتاق إلى أن تشاركيني.. إن ألوانك المبهجة جمالًا يزيدني جمالك.. على أن تطلقي سراح أغصانك وأوراقك وستأتي حيويتك.. ها هى تبكي ثانية.!!...وتبكي شجرتها معها...!!

أعيريني، أحبيني، انتظريني، بل الآن امتلكيني بداخلك.. لألقي نظرة أخيرة عن ما يدور بداخلك، لربما أرى فى جذورك أصولى وجذوري، لربما أجد لى سماءًا وطيورًا، لربما أجد بلبلًا مسطوراً، لربما أجد حياة ما وراء الحياة!!.. لربما أتفقد أحلامي حلمًا تلو الآخر وعن حكاياتي لاتبوحي، وسطوري، وذكريات سنيني فهل لكى أن «تــحتويني»؟

وهل لى عليكِ أن أطلب «بعشم» مسبوق أو عشمًا غير مسبوقًا...

من فضلك يا صغيرتي...

أخفيني، وعن العيون صونيني، وعن كل هذه الوعود حثّيني، وإذا تناسيت ذكريني، بل على كل العهود أبقيني، ما بال صمتك! حدثيني، عن كل ما مضى وما أشعر به الآن، فإذا تساقطت علينا الأمطار أحبيني، اغتسلي بي، ومشطيني، بل «عانـــقينـــــي» ولكن لا تودعينـــــــي...

الـــــــــدرج

بعد ابتسامة عريضة جميلة بداخلها شغف من صديقتها اللبنانية، التي تصل للتو إلى بيتها فى ضيافتها بالإسكندرية، لتنظر إلى ما بعد الباب وتتأخر متعمدة، فى إدخال حقائبها البسيطة، هي تختلف كل الاختلاف عن المصرية، الجوزائية، المتألقة، وهذا لايمنع أبدًا أن اللبنانية متميزة جدًا بل متألقة...

« سناء» «رسامة» أى صاحبة ريشة، وصاحبة قلم معبر أيضًا ريشتها خرافية طبيعية، غير مبتذلة على الإطلاق، بل وألوانها تشع حياة وبهجة مؤنسة وأمل وما أجمله أمل.. وما أجملها حياة داخل لوحاتها، وداخلها فعندما تقرر أن تسرد لنا بعض السطور المختزلة بداخلها، فى كلمات حين تقرأها تتسمر ولا تعرف إلى أين تذهب؟...

«سناء» لبنانية الأصل، ولكنها تعيش فى ألمانيا بلد الصناعة الأولى في أوروبا، لم تسألها حتى الآن عن أسباب العيش فى ألمانيا والجوزائية لا تبالي.

هنالك أشياء أكثر أهمية وشغف بالنسبة لهما معًا هما الاثنين وخصوصًا أن عمر الصداقة بينهم ليس كبير هى سنة واحدة، بها ثلاث أشهر على شبكة التواصل الإجتماعي، ثم تطور الأمر إلى حضور «لي لي» معرض صديقتها فى «برلين» هذه الرسامة، الساحرة، المثقفة، الخجولة، الرقيقة الأنيقة، كما تناديها دومًا.

الطيبة، الدافئة، ذات الروح التي تتشابه مع الطبيعة الخلابة الحقيقية، وليس على لوحاتها إلا الشغف والفن، الجمال، بجانب الإحساس المرهف، فالرهف هنا يستحوذ عليك، ينتشلك، يسافر بك بعيدًا أو يجعلك محلقًا فى سماء الفنون... ويرتسم قوس قزح بداخلك أنت لكن بريشاتها هي.. فتصبح فجأة طفلاً، بريئًا، ناطرًا، ماذا ستعطيك من إلهام، من أفكار تقبل عليك بهدوء.. أما «لي لي» فقالت بسرعة كلماتها ورشاقتها المعتادة وتفاصيل وجهها المريح:

- اتفضلى يا «سونسون».. أنتِ حبيبتي واقفة متسمرة كدا ليه؟

- يا الله شو حلو... كل هاى الصور ل «علي»؟

- أها...طولة العمر ليك حبيبتي.

- وشو مهضوم والله الذوق لتبعك بالبيت يا حبيبة.

كانت «لي لي» تستمع إلى مجموعة أغان فيروزات تحديدًا أغنية، «بعدك على بالى يا قمر الحلوين» ..لتسألها « سناء»...

- «لي لي» بتعرفي الاسم الحقيقي «للست فيروز»؟

طبعًا... شو؟ «ألست نهاد الحداد».

- صح برافو عليك شطورة أنتِ.

- أنا بسمع فيروز من وأنا طفلة وبعشقها، فيروز عندكم زى الست أم كلثوم عندنا كدا يا «سونسون».

- صح ومين عنا مشهور مثله مثل «فيروز»؟

- الأستاذ «وديع الصافي» طبعًا وبحب له «عظيمة يا مصر».

- لا أنتِ مذاكرة كويس يا «لي لي».

- أنا بحب الفنون جدًا يا «سونسون».

تلاحظ «لي لي» أن «سونسون» مازالت واقفة وتتأمل!

- اتفضلي ياحبيبتي وحمد الله على سلامتك، نورتيني حقيقي، ونورتى إسكندرية الماريا ونورتي بيت «عـــلي».

- تكرم عينك..حبيبتي كلك ذوق.

- تحبى نبدأ بإيه يا «سونسونتي»؟

- نبدأ من ما بدك نبدأ إياه حياتو.. أنا عن نفسى ضبيت أغراضي وأخدت طيارتي وجيت ع ملا وشي زى ما بيقولوا عنكم بمصر.

تشعر «لي لي» بداخلها بسعادة غامرة للقاء سونسون التي لا تصدقه حتى الآن، وعن طريقة حديثها وما تشعر به من طاقة بداخل هذه الرقيقة الأنيقة.

- قهوتك إيه يا «سونسونتي»؟

- مثل ما بيحبا «علي»!!!

في ابتسامة عريضة وحنين أعرض، ممتزج بفرحة لقاء «سونسون» «لي لي» تصنع القهوة لها هى مجنونة قهوة، بل شهرتها فى كافيهات معينة وأصدقائها « لي لي مانو» كما إنها تحب اسم «مانو» اسم لأول كلب هدية من أبيها وهى طفلة وهو إسم إيطالي الأصل كان يفضله

«علي».

- «عـــلي» يا «سناء» كان بيشربها مظبوط.

- تعرفي كل شئ هنا مظبوط مثل اللوحة دى مثلاً.

- أي لوحة «سناء»؟ تقصديها!!

- هاااى.

-آه دى يا ستي صديقي القبطان رسمهالي وهاداني بيها فى عيد ميلادي

- غريبة! شافك بلا حجاب؟

- الحقيقة لا.. ما وراء خيال الفنان يا ستي تخيل الملامح والشعر وأنا إيه مثلًا أصغر من كدا بعشرين سنة!!!..

- لكن تشبهلك جدًا فعلاً دى رؤية كاملة بفنه هو.

- بتلبقلك النغاشة «لي لي».

- والله ما حدا نغنوش هنا إلا «سونسونتي» وبعدين بيلبقلي ونغاشة أنا عاوزة كورس لبنانى ويا ريت لو ألماني يا سونسون «لو سمحتى..بنحتاج مصارى»!!

- فهمتينى غلط دا على حسابك «سونسون».

- ولووووو هههههه.

- اتفضلى يا «سونسون» قهوتك.

- تكرمى.

- الغدا سمك ومخصوص، ترحيب يعني إحنا عندنا كام «سونسون»

ومش معقول تكوني فى إسكندرية وما تاكليش سمك.

- بدى أسال سؤال؟

- اتفضلي طبعًا.

- ليه بتعصبي لما حدا بيقولك درجة وهيك؟

- أيوه فعلاً.

- لهال الاد؟

- أنا يا ستي الشهر اللى فات طلعت نفسي معاش مبكر!!

- لا لا

كادت أن تلفظ «سناء» رشفة القهوة الثانية..

- عن جد مصر بتعمول بولادها هيك.!!!

لالا هههههه أنا اللى أخدت القرار دا.

- And so؟

- And so what؟.. حشتغل يا ستي أى شيئ تحت عنوان «فنون» أطلع بيه «الدرج» علشان الدرجة دى وقفت عائق فى كل حياتى التنسيق، معهد الطيران الخاص، آداب إنجليش، تقدير درجة فى الإمتياز نزل لجيد جدًا فى أول سنة جامعة كل حلم بينى وبينه درجة.

- اممم يعني عنا «علي» «فنون».

- درج.

قالتها «سونسون» بطريقتها الجميلة.

- بالظبط كدا أتمنى أحقق أمل «علي» فيا يا «سونسون».

شو حلو الحنين، شو حلوة الفنون، شو حلو لنطلع «الدرج» بعلى وبالمصادفة تبدأ أغنية «عودك رنان» رنة عودك يا على.. تسمع «لي لي» و«سونسون» بالأغنية ويتخيلا سويا «الدرج» ويشردان ويصمتان، بل يذوبان فى نسيج متجانس.. كلاهما طاقتان، لا يستهان بهما أبدًا لكن «سونسون» تسبقها فى غناها مع فيروز وعا العالى ...

أما «لي لي» فيتخللها لحظة سكون على شجن، لكن لابد أن تقطع الصمت بداخلها ولا تنساق للشجن...

- تعرفى يا «سونسون» لحد دلوقتى دا بيلبقلي لكن بعدين مش عارفة هيكون فيه إيه .. الله كبير يا«لي لي».

تنظر «سونسون» لها بصمت، وحزن ممزوج بإعجاب شديد، بل تنظر لها بولع، ناتج عن كم الأفكار المتطايرة منها بالهواء كفقاقيع الصابون الطفولية...

تخرج من هذة الفتاة أفكار كالطاقة الشمسية التي لا تنشط أبدًا إلا ليلاً ومع رابطة شعرها البنية وشعرها البني وخصلاته الكيرلي الذى لا يبدو جمالة الأولى على الإطلاق ولكنه، يصرخ، يتمرد، يعترض بل يعبر أحيانًا.. سؤال على غفلة من «سونسون»!!

- أنتِ خريجة أي جامعة "لي لي"؟

- أنا بالأساس، لم تكمل "لي لي" كلماتها حتى قالت فيروز مرة أخرى

كيفك أنت؟ مالا أنت وبحبك فى الأساس... لترد "سناء" يا الله شو مهضوم الجو لتبعك لوحات، حب، حنين ل "علي"، قهوة، كل ذلك ممزوج مع الفيروزات هون.

- أي خدمة حياتي...أنا يا «سونسون» إتخرجت من kinder Garten» بستان من كل مادة.

تطلق ضحكة «سونسون» وعيونها تلمع..

- وهاى إيه علاقته بالعلاقات العامة؟

- وفنون التسويق...لا لا دا مش موضوعنا خالص دلوقتى أوك، كملي... فكنت بتمنى إنى أكون «صحفية»، «كاتبة»، «مرشدة سياحية»، «مذيعة»...

*يحدث الأن...

كادت العناوين أن تصدمها، ولكنها تؤمن بها تصدقها بداخلها، تحبها ولا تعرف السبب! تغوص فى أعماقها وترتفع لتأخذ نفسًا ليس كبيرًا لتغوص بداخلها مرة أخرى.. هى بالواقع تعجب بشخصيتها، بل تشعر بداخلها أنها علبة ألوان طينية غريبة وجديدة عليها.. لكنها تستوعبها، تحتويها، تضمها بريشاتها الهادئة، دون أن تشعرها، هكذا خلقوا الفنانين، المبدعين، لا ينظرون للأمور ولا للأسباب ولا حتى القلوب، ولا الشخصيات كما ينظر لها الشخص العادى التقليدى، الراكد تنظر لها وتقول «سونسون» بعينيها.

«هاتى ما عندك، هذا هو الوقت المناسب لعرض الأفكار، أخرجي من داخلك الصندوق كله ولاتبقي شيئًا، أخرجيه بحرية كاملة، استرسلي، اصرخي، عبّري أو حتى تمردي، إنا بداخل جدران ولكن كل منا حر طليق، قطّعي أكياس الرمال من أرجلك بخفة، بل وأطيحي بها بعرض الحائط حتى لو كانت المساحة الآن غير مناسبة للطيران، لكنها لن تبقى كذلك «أما أنا سأفعل معك ذلك وأكثر من ذلك»...

وفي أقل من الومضة كانت "لي لي" تستخرج شمعتين برائحة الفل الهندي لتشعلهم بولاعة طويلة عتيقة، وتدوس بخفة حركاتها على ريشة الجرامافون الذى ورثته من جدتها لتهدئ فيروز وطء هذه اللحظة فى قصيدة «سكن الليل» وفي ثوب السكون تختبئ الأحلام وسع البدر وللبدر عيون.. ولكن "سونسون" لا تنتظر للدقيقة التى تلي هذا المشهد الساحر البرئ الحالم.. فبمنتهى السلاسة والخفة، تسحب حقيبتها وتخرج هي الأخرى منها ريشاتها وألوانها، على الأنغام الأنيقة للحنين بروعة لا تقل جمالاً عن ما فعلتة «لي لي»..

ماذا يحدث هنا؟

يحدث هنا الكثير!! «إنه مشهد يتبلور ولوحة تبدأ فى هدوء يعتليه صراخ «تصرخه» الألوان أهم يرقصون، يتناغمون، يضحكون، يتمردون سويًا على الحاضر والماضي، أم أنهم فقط يعبرون عن ما بداخلهم فى مشهد خرافي لا تستطيع "سونسون" إهدار حقه الفني وكأنها تعلن للتو

عن لحظة ميلاد فن جديد.. تسألها "لي لي":

- هتعملي إيه؟

- حرسمك.

- وإحنا بنسمع فيروز؟

- وإحنا بنسمع حتى دقات قلوبنا.

- بتتكلمي جد؟

- طبعا لهاالأد.. اتعاملي بطبيعتك حياتي إذا بتريدي.

الكل هنا يبدع سواء "سناء" أو "فيروز" أو حتى "لي لي" لكن بطلة المشهد الحقيقية هنا "سناء" كانت بمثابة، قمر الحلوين كما قالت فيروز..

- تفتكري اللوحة دى هتسميها ايه؟

- هيدا بداية «معرض» حبيبتى حعمله بالإسكندرية وأنتِ السبب فيه!!! وبتخط فيه "مثل ما بدك وبقلمك الحر" وتعبري عن حالات اللوحات... ومن مكاني هاى، اسمحيلي تكوني العنصر التفاعلي للمعرض وحيكون على مسرح كبير وحياة "على".

- بس الكلام دا ما سمعتش عنه قبل كدا!! أو ما اتنفذش أقصد؟

قالتها «لي لي»، وكادت الدمعة من الفرحة تقفز على وجه «سناء»:

- كلام حقيقى..«حبيبتي اللي سبق شم الحبأ».

- بتقصدى اللي سبق أكل النبق.

- المعنى واحد حبيبتى. بياكل، بيشم، بيتذوق، كلون بالأخر حواس والفنون سرها الأول والأخير مكمون بالحواس.

- شوفتى يا "سونسون" أدينا طلعنا مدرسة واحدة وحس واحد وكل حاجة حلوة كمان.

- واسم المعرض «سناء» هيكون إيه؟

- اسم المعرض هيكون على اسم البابا لتبعك... «علي».

صمتت.. وتفاجأت "لي لي" حقًا وكاد قلبها أن ينخلع من السعادة ومن خصوصية الموقف، فسالت دموعها.. لتقول "سونسون"

- اكتبي عندك يالا.. لا تعطلينا.

- أكتب ايه؟

- هيدا أول درجة بنخطيها سوا «بالدرج».

منـــــعم و وديـــــدة

صوته متحشرج منذ طفولته، وحتى نعومة أظافره، بل وسعاله المتواصل صباحًا.. هذا حال كل ليلة إثر الدخان، وكئوس الخمر المبعثرة بالخارج، وأحيانًا الزجاجات التي تفرغ ليلاً ويأتي بجديد حين يغلق محل العطارة الذي ورثه عن والده الحاج "صالح" الذى كان صالحًا بالفعل رحمة الله على أبيه، كان مشهورًا بالمنشية وتحديدًا سوق الميدان، بعدما توفي، لم يجد "منعم" مخرجًا إلا أن يقف في محل المرحوم لأنه الوريث الوحيد أما "وجيدة" لم تنجب غيره بالفعل، لم يمت الحاج "صالح" راضٍ أبدًا عن ولده الوحيد، وبالرغم من جمال "وجيدة" الصارخ، وأصولها التركية واليونانية معًا، بل وطيبة قلبها المبالغ فيها... تزوجت الحاج "صالح" حين أتت هي وعائلتها من الشرقية، بحثًا مع أبيها عن شقة للمصيف بالإسكندرية هروبًا من حرارة الجو وشمس الشرقية لمدة أسبوعين، كان هذا البيت في منطقة بحري يملكه "صالح" ومحلات العطارة رآها أحبها وانبهر بجمالها وضعف قليلاً حيال طيبتها، وفي خلال عشر أيام كان "صالح" من نصيب "وجيدة" بالفعل.

"صالح" يحبها حبًا جمًا، بل ويحسد نفسه كل يوم علي جمالها ودلالها ويعشق طيبة قلبها...أنجبا "منعم" وما أدراك ما "منعم"!

في دعوة من الحاج "صالح" ألا يرزقه الله بالبنات من "وجيدة"! حتي لا يأخذا جمال والدتهم ولا يستطيع العمل حينذاك خوفًا علي

بناته، أفكار واهية وواقع صعب... واستسلام تام من هذه الجميلة الطيبة حد السذاجة..

"منعم" الذي لا "يفوت" من الباب من ضخامته إلا إذا انحنى قليلاً، يحمل أكياسًا من الفاكهة و "المزة" الغالية الفخمة في ذلك الوقت بيده اليمني وفي اليسار زجاجة كل ليلة.

هو جميل بالفعل حد الإبهار، ولكن أخلاقه لا توازي كل هذا.. نتاج الحاج "صالح" الذي كلما رأوه وجدوا السبحة الجديدة فى يده من الحجاز، مكتوب عليها التاريخ، أما "وجيدة" بجمالها لم يرث من والدته سوى الجمال ولم يمس الطيبة ولا الصلاح على الإطلاق، فبعد أن حصل على الإبتدائية في الثمانينات رفض -هذا الجميل- أن يكمل تعليمه ورفض حتى أن يساعد والده في محلات العطارة التي أصبحت تغزو الإسكندرية ومناطقها، بل اتخذ عملاً مهينًا مشينًا له و لوالده قرر "منعم" أن يكون بلطجي صغير يأخذ إتاوة من كل من هب ودب في المنطقة والمناطق المجاورة وحين توفت "وجيدة" كان "منعم" أحد الأسباب الرئيسية، هذا الشاب الوحيد الذي تحير فيه كل العائلة والجيران وحتى المعارف، وحتي التجار.. وفي آخر سنتين كانت عينا "وجيدة" جاحظتين بعدما كانت عيناها واسعة من كثرة البكاء علي ما تراه من "منعم" ولا تستطيع تغييره وعلى ما وصل له ابنها الوحيد من حال... لقد فعلت كل ما في وسعها لتغييره، وتذكر بمنتهي الأسى حين

قال لها الشيخ «اذهبي به إلى «الحسين» وادعي له هناك، بل واطلبي له رقية لعله محسود، على جماله، ووحدته أو غنى والده وتقواه»

إنها لا تستطيع نسيان هذا اليوم قطعًا بعدما قالت له «افرح يا "منعم" حتركب القطر عندنا زيارة حننزل فيها مصر أنا وأنت» لمعت عينا "منعم"... اتخذها مغامرة جديدة.. «لكن على شرط أن تستحم أنا لا أستطيع رؤية لون أرجلك الحقيقي الأبيض من كثرة الخرابيش والأتربة والطين العالق فلن يوافق الناس علي ركوبك القطار».. هكذا رضخ منعم ليستحم.. الليلة عيد عند "وجيدة" سترى لون بشرة ابنها الوحيد الحقيقية ولو ليوم واحد أو ليومين بالأكثر... ولما سافرا سويا في القطار بعد عشرة دقائق من جلوسه على المقعد بالأكثر ربع ساعة كالمحترمين غفلت "وجيدة" ولكنها تتذكر جيدًا عندما فتحت عينها لم تجده بجانبها.

وبعد انقلاب القطار رأسًا علي عقب، وبعدما صرخت وبكت وبحثت هي والقطار بأكمله عنه وجده "العطاشجي" فوق سطح القطار واضعًا رجل علي رجل بمنتهي الصمت والثبات كأنه متمرس بل وجده صدفة، وكأن سطح القطار سريره الخاص يشعر فيه بمنتهى الاطمئنان والحرية، بل يستنكر كل من ينادي عليه أو يطلب منه أن ينزل.. فأحيانا يضحك! أو يتلفظ بما لذ وطاب! وأحيانا ينظر لهم فقط، وحين وصل القطار إلى القاهرة لم تغادر وجيدة القطار خوفًا من شتاته وجنونه وخوفًا من

ضياع هذا المخبول! إنه ملكها الوحيد وما بقي لها من حطام إصابتها بمرض القطط الذي أعاقها عن الإنجاب مرة أخري سواء بولد آخر أو حتى بنت، بل استسلمت المسكينة، ويكفيها مطاردة البوليس له أو حتى يأتي ليتفقده.. وكفاها مشاكل وكفى أبيه الصالح شر القتال، بل استعوضت الله فيما كان، وما سوف يكون.. أحيانًا تنظر له وتشرد وأحيانًا تبكي وتبكي.. طيبتها تمنعها أن تدعو على هذا الشقاء المتجسد في ولد وحيد، فدموعها أصبحت رأس مالها ذبلت حتي الموت وما صنعه "منعم" في أيامها مجلدات ملأت قلبها وعقلها وكان آخر همها وأكبر تصوراتها..فأصبحت شاردة زاهدة.

يتذكر "منعم" حين بلغ، فكّر أبيه على الفور أن يزوجه ولكن "منعم" دائمًا يأتي لنا بالإبهارات، كان يهوى الراقصات درجة خمسة أصحاب الضحكات الرقيعة وعناوين البنسيونات الرديئة ولابد وأن تكون سمراء لا يطيقها أحد وياحبذا لو كانت بربرية، هذه هي مواصفات «فينوس» بالنسبة لمنعم «أن تكون بكلونيا وقلم روج أحمر صارخ متهالك، لا يليق علي بشرتها أبدًا، فهو غريب الأطوار، بل متطرف حتى انحرافه متطرف» ويروى لنا خياله أنه أحب مرة واحدة في شبابه.. فتاة سمراء خادمة كانت تخدم عائلة صديق والده القاطن أمام منزلهم، وكان لا يطيق أن يمر الهواء يجوارها إلى أن غازلها صبي القهوة وهي تشتري الطلبات لحظة دخوله الشارع ليري هذا بعينيه، فيجد الصبي يقول

لها رايحة فين يا "شوقلاطة".. أحس "منعم" أن عرضه تعرّض لإهانة وبلهجة مليئة بحدة وزعق زعقة ارتجت لها جدران البيوت:

- روحي يا «سمرا» وقولي لأبوك في النوبة "منعم" حيزوركم هو وأبوه يخطبك.

- بتتكلم جد يا سيدي منعم؟

- روحي يا بت ومفيش خدمة في البيوت تاني وأنا كفاءة أجيبلك أمه وأخته يخدموك وأستتك.

كان يقصد بالطبع أم وأخت الصبي القهوجي الذي غازلها.. ولم يكن ما حدث تاريخيًا، بل كانت واقعة حكى عنها كل من رآها وكل من لم يرها.

استدرج "منعم" الشاب إلى سوق الميدان بالمنشية ووقف في المنتصف على مرأى ومسمع من الجميع، وبدأ يرفع صوته تدريجيًا ليبدأ الجميع في الانتباه، وفي نفس اللحظة بدأ يسحب ميزانًا لسيدة تجلس في الأرض فلاحة بسيطة..

- سمراااااا... شاغلني هواها ولا قولتلكوش والعرة إلى ما يسوى ال إيه استجرى وقالها أبصر شوقلاطة وقلة أدب وخشا وحيا انعدموا في الشارع.

- جرى إيه يا معلم «منعم» دي حتة خدامة لا راحت ولا جت.

- ما هو اللي يعاكس خدامة يعاكس أمي.

حينها غاب عقله، هم يهينون حبيبته، ففلق الميزان علي ركبته إلى نصفين بمنتهي السلاسة وأدار الضرب يمينًا وشمالاً في كل من هو بشارب أو بدون.. يحمل الفلقتين للميزان الحديدي ويضرب بهم ويطيح بهم دون عقل ودون قلب دون حتى أدنى مسئولية.

في اندهاش ورعب جماعي، حدّث ولا حرج ضحايا يمينًا ويسارًا، بل انقلب السوق إلى ذعر وصراخ ودماء خلال خمس دقائق، كان «منعم» قد أسقط ثلاثين رجلا وحده... لم يشعر "منعم" بما فعله إلا في غرفة الجراحة العامة بمستشفي الميري وبجانبه كل الأطباء من يعرف بخياطة الغرز ومن لا يعرف يحاول لم القطعيات التي أحدثها هذا الأشقر، الأبيض، الوسيم، المجنون، وحده وهو يحب "سمرااااا".

إن صبي الميكانيكي الغريب عن المنطقة، والغريب عن المدينة بأكملها.. الشاب الصعيدي هو من ضربه بالحديدة على رأسه ومن الخلف دون إذن من معلمه وبمنتهي «الغشم» ليسقط على الأرض... يصرخ معلمه فيه..

- ماذا فعلت أيها المجنون "منعم" لن يكفيه فينا أحد.. هذا آخر يوم لك بالعمل عندي وإذا لم تسافر اليوم ستدفن.

- واااه جبر يلمه نفر فاير.. كيف يعني يوجع تلاتين رادل ويكسر للوليه ميزان ونسيبه.. الأرزاج بالله واه بلا جرف.

- يا جدع اسكت أنت مش فاهم حاجة.. الميزان والخساير دي كلها

حتتدفع وتتلم من أبوه الحاج "صالح" والرجالة دي كلها حتتخيط وحتتعوض إنما ظهر "منعم" دا مش حيرضيه فينا حد فهمت؟ لكن بردو مالكش عيش عندي.

- يا بوي لا عينديك ولا عند غيرك خير تعمل شر تلجى.

- خد حسابك وتوكل على الله.

- هاته يا ولد عمي!!!

في المستشفى... يضحك الدكتور المعالج "لمنعم" وهو يقول:

- شعرك الأصفر ده مالي الأرض بعد ما حلقوه علشان أخيطلك الجرح، بيقولولي برا كل دا بسبب...

لم يستطع النطق ولا حتى تكملة الجملة حين أمسك "منعم" معصمه وقال بصوت متحشرج:

- شايف الإبرة دى؟

رد الدكتور وهو يشعر بأن كماشة حديدية أمسكت معصمه..

- اه شايفها ماتكملش.. أنا بهزر بس بحاول أسمع منك حتي "االه للعشرين غرزة التي رفضت تمامًا تأخد فيها بنج وأنا بخيطلك الجرح"

- منعم ميقولش االه حتي لو بيموت.. اسمع ما تتكلمش معايا ولا حتى تكتر، روح هاتلي سوجارتين.

- نعم!

- إية ما بتسمعش؟

- حاضر لكن السجاير هنا مم.....!!!

- كلمة كمان... «هدده منعم»

- وعلى إيه؟.. عندي دكتور زميلي بيدخن عالسطوح في أوقات الراحة بالليل هطلع أشوفلك؟

- لا هتيجي ومعاك السوجارتين...!!!

- حاضر.. إيدى سيبها علشان أتحرك... اااه.

- وجعتك؟!

- أيوة يا عم العملاق وجعتني.

- طب إخلص.

- حالاً.

وفعلاً اضطر الطبيب أن يحضر السجارتين و"منعم" يدخن بالفعل، واحدة أمام الجميع وهو يستكمل الغرز والأخرى وضعها فوق أذنه وإذ بالطبيب يصمت، ويستكمل الغرز وبعد ذلك يحاول تغطية الجرح فيقف "منعم".. ويهم بالرحيل أما دهشة الطبيب!

- «منعم» ميدخلش المنطقة أو الشارع وجرحه متغطي بشاش أبدًا.

- بس... لا بس ولا ما بسش!!!

- لا وعلي إيه؟

يقول الطبيب «لمنعم»:

- على فكرة اللي ضربك دا خدمك؟

- إيه؟ بتقول إيه ياجدع أنت؟

- أيوة والله زي ما بقولك.. كدا تبقى خناقة أو مشاجرة مش اعتداء.

- اللي ضربني دا اقراله الفاتحة.

ليكمل الطبيب:

- قريتها في سري.. أصل البوليس برا و...

- مش شغلك بقى.. إنت مش خيطت؟

قالها "منعم" بصوته المعتاد، إن مظهر "منعم" يبدو عليه إنه قائد إنجليزي مثلاً وهيئته أيضًا ناهيك عن لبسه ولكن لا يبدو عليه أبدًا أنه بلطجي، خرج "منعم" من الباب وسط ذهول الجميع، وبعدما صمت الجميع عن الحكاية الحقيقية التي يود البوليس سماعها، أو حتى تحريرها في محضر كأقوال أو حتى أسباب مقنعة للمشاجرة، الكل يعلم أن السبب الحقيقي للسكوت هو الحاج صالح، والخوف من "منعم". فيما بعد حين يتدخل صالح بالتعويض سوف يكون أكبر من كلمتين على ورق، وعواقب الحقيقة بعد ذلك ستكون أكبر وأسوأ للجميع، هو لا يخاف ولا يهاب الكل، بل الحقيقة أنهم هم من يخافونه، والجبن هنا سيد المستشفي.

يدخل منعم الشارع من جديد... وكأن ما حدث كان بروفة حية لفريد شوقي وفيلم جديد، كل ما كان يهم منعم بالفعل أن يدخل الشارع مجددًا مارًا بالسوق وأن يكون جرحه غير مغطي لا بشاش ولا

بقطن وما يسعي له شيئًا أكثر جنونًا... أن يخطب «سمراا» هو وأبوه كما قال للجميع.

العجيب من أهل الشارع أنهم -كي يتقوا شره- يقولون له حين يقابلونه، «ألف مبروك يا معلم منعم.. تعيش وتتهني.. سمرا بنت مؤدبة وبنت حلال وأنت سيد المعلميين وسيد الرجالة كمان».. لم يشف غليله هذه الجمل الحمقاء! هو متوجه للبيت و متأكد أنه سيجد الحاج «صالح» واقف بمدخل البيت ويعلم أن سمرا لن تنام الليل، بعدما رفع رأسها في الشارع كله، بل ووعدها بالزواج أيضًا، ليجد الحاج «صالح» ينظر إلى الأرض بحسرة وكسرة، بل وخجل من ابنه الوحيد.

- خلاص قفلت الشارع وقفلت السوق، وقفلولك الجرح؟

لم يستطع منعم حب والديه سواء وجيدة أو حتى أبوه لأنه يعلم جيدًا ألا أحد يحبه، فتربى فيه ألا يتعلق بأحد ولا يحب أحدًا.. مع أن "وجيدة" الوحيدة التي روحها فيه، وجمالها أيضًا، ولكنه لم يبد لها يومًا ذلك لأنه يعتقد بداخله، أو يعتبر حب الأم بالذات ضعفًا، وأن الرجل الذي يحب أمه ذاك الشاب الأفندي... ولكن ليس «لمنعم» على الإطلاق.. أما "صالح" كان يملؤه خيبة الأمل، وضياع الفلوس المجمعة من تعبه وتجارته، سواء عن إصلاح التلفيات أو رد الإتاوات أو حتى الأسف عن الخسائر قبل دفعها بالكامل، كتلة من الهم والغم والشعور بالحسرة والخيبة والذنوب طوال الوقت لأبيه لم يرد "منعم" على الحاج

"صالح" - عادته ولا هيشتريها- من صغر سنه وهو لا يتحدث كثيرًا بل يده تسبقه، يفكر بها، يأتي بها باطلاً قبل الحق أهوج، أرعن، وعفي حد الجنون، قوته بمثابة خمس رجال، أما ضربة يده كالسيف.

تبًا لهذه التركيبة وعجبًا لعقيدتها أما بالنسبة لصوته الأجش منذ حتى طفولته حتى أنهم تصوروا أنه بلغ قبل الأوان أو قبل البلوغ.. وقبل أن يقول "منعم" أي جملة علي باب البيت الكبير نطق الحاج صالح ليقول:

- قبل ما نقعد مع الرجالة بالليل ونشوف هتمرمط رأس أبوك إزاي، أنا مشيت "سمرا" من البيت اللي بتخدم فيه ومن المنطقة كلها برضي الحاج "حسين" طلع راجل جدع وبيفهم في الأصول، بعتناها مع راجل من رجالته بعربية مخصوص للنوبة وبقرشين كويسين أوي حينفعوها.

لحظتها احمرّ وجه "منعم" حتى كادت السجارة التي فوق أذنه أن تشتعل، ورفع يديه ينوي ضرب الباب الحديدي وفي صوت عال قال الحاج "صالح":

- إيه حتضرب أبوك يا منعم؟ أهو دا اللي ناقص فى ختمتي.

ثم خيم الصمت...

- يعلم ربنا إني عملت معاك كل حاجة.. تعليم ومنفعتش فيه الناظر كان حيبوس إيدي وأنا بقوله مش هنكمل تعليم "منعم"، مش قادر أنسى إنه باسني وحضني حتي الراجل ما هانش عليه يقولي ليه كدا

حاول معاه مرة تانية، الفلوس اللي بكسبها بتروح علي حقوق الناس اللي بعوضها بيها، كأن العطارة حرام وفلوسها حرام وحتي المليمين اللي بجمعهم بعد مصاريف البيت كل سنة بيطلع عيني فيهم يادوب بروح بيهم الحجاز أعيط لربنا و أستغفره على ذنوب أنا يا أخي ما ارتكبتهاش... أدعي ربنا هناك ألف مرة إن ما يوصلش بينا الحال لإنك تدخل السجن ولا تيجي على ضهرك ولا حتى البوليس يأخدك من بيتك، مش كل مرة تسلم الجرة، وساعتها حتحرق قلب أمك الغلبانة اللي بقت تدبل يوم ورا يوم قدامي وقدامك، دا لو كنت شايفها من أساسه حتموتها ناقصة عمر، دا غير رقبتي اللي بقيت قد السمسمة ورأسي اللى مش عارف أرفعها في الشارع، ولا وسط التجار، دا اللي عنده بنت يا أخي من أصحابي بيخبي عليا أحسن أتجنن وأقوله أناسبك ولا نأخد بنتك للبلطجي الصايع اللي أنا آويه فى بيتى، وأنا عمري ما حنطقها.

ثم اختنق صوته..هذه الكلمات كانت آخر ما قاله الحاج "صالح" قبل دموعه العفوية.

وكالعادة تجلس وجيدة في الغرفة تبكي ولكنها تفتح باب الغرفة، ما تبقي لها من قلب الأم لتطمئن على "منعم" وهو يوليهما ظهره بغرفته يبحث عن زجاجة خمر في أدراجه ليرفعها ويشرب منها أمامهما وهو لامبالي، وفي صوت من الأسي تنطق "وجيدة":

- يا ابني جرحك لسه سخن اشربلك لبن مش الهباب دا.. يا ابني أبوك

بيصلي تقوم تشرب عيني عينك في البيت كدا.

- "منعم" ما بيشربش لبن.. أنتم آويين قط دكر بتسمنوه؟!.. "منعم" عايز ينسي قلبة دماغه، وجوزك مشى سمرا، منعم عاوز ينسي "سمرا".

تنظر "وجيدة" بمنتهى الأسى للغرز وخصلات شعره الصفراء المحلوقة بعشوائية إثر الخياطة ويعتليها حزن وحسرة وصمت... يعلو صوت دعاء في البيت "ربنا لانسألك رد القضاء ولكنا نسألك اللطف فيه»، بعدما خرج الحاج صالح من الوضوء، استعدّ لصلاة العشاء يخشى أن ينزل إلى الجامع اليوم، هو لا يريد رؤية أحد ولا حتى يستطيع التحدث مع أحد.

- السلام عليكم ورحمة الله. ى

- حرمًا ياحاج ألا قولي راضيت البت سمرا؟

- طبعا.

- وراضيت الحاج حسين؟

- والله الراجل هو اللي رضاني، دي عشرة عمر يا «وجيدة» يلا... هنعمل إيه ولا حتي هنقول إيه؟

- طب اسمعني يا حاج.

- "منعم".

- تاني سيرة الزفت دا النهاردة؟

- طوّل بالك بس عاوزين نجوزه يا حاج!

- جرى ايه يا ولية!!! إحنا في إيه ولا إيه؟

- "منعم" مش حيتجوز من إسكندرية ولا من أي عيلة، أنت عارف وأنا عارفة دا كويس.

- إيه يا "وجيدة" اللي في دماغك؟

- نروح الشرقية يا حاج لا حد يعرفنا هناك ولا إحنا نعرف حد، أروح أشوفله بنت غلبانة على أد إيدنا تلمه وتستره، عاوزة أطمّن عليه قبل ما أموت يا حاج.. أنا حاسة إني مش مطولة في الدنيا دي، وبزيادة أوي اللي بيحصل دا.. أهي فرصة نبعد عن الشارع والمنطقة كام شهر وربنا يسويها من عنده.

- وشغلي وأكل عيشي هنا والمحلات مين يدورها.. ماكفهوش إني بايع محل الشهر اللي فات بسبب الحيلة.

- رحمتك عليا يارب... يا حاج كل المطلوب منك إنك تسافر معانا بس وترجع لشغلك بعد كده.

- ومين يقعد مع الرجالة بكره؟ ويسوي اللي حصل ويداوى الوضع؟

تسترسل "وجيدة" بطيبتها..

- وأهو بالمرة تشوف أمي بتسأل عليك يا حاج بعد أبويا ما مات مانزلناش الشرقية.. وأهو منعم يشوف عيلته اللي مفكرينه ياما هنا ياما هناك ونجيب مراته تعيش هنا معانا في البيت.

- أهوه عندك أهوه قوليله ولا حتى إقنعيه أي حاجة يا ناس، يا خلق،

ياهووو ترحمني من بلطجته ومشاكله وفضايحه اللي ما بتخلص، دا مخليني عيني وسط رأسي... دا لو راجل من رجالتي بيبقي داخل عليا المحل بيمد أقول أستر يا رب جايبلي خبره ولا جايبلي خبر بوليس ساحبه.. ودي عيشة؟.. إنتي قاعدة هنا مش حاسة بيا!!! ابني يا ناس الوحيد اللي طلعت بيه من الدنيا اللي المفروض يشوف الشغل ويكبره معايا ولا يشيل حتى عن أبوه.. أنا كبرت يا "وجيدة" والهم طالني وانقسم وسطي، بجري وبلف في ساقية...وهو حتة شيطان في صورة حلوة.

- يسافر بس وتتدبر يا حاج، ربنا يخليك لينا وميحرمناش منك أبدًا وإحنا لينا حد غيرك دا أنت سترنا وغطانا اللي مضلل علينا، ربنا يهديهولنا.

- ربنا يراضيك أنتِ يا "وجيدة" لولا طيبة قلبك دي وسماحتك اللي مصبراني على العيشة واللي عايشينها وعلى عمايله.

- معلش يا حاج علشان خاطر ربنا، بكره الصبح بإذن الله تقوليله، أوعي تهيني نفسك معاه، يتكلم بأدب وتبلغيني اللي حصل.. وافق كان بها ما وافقش عنه ما سافر وعننا ما شفناه بيتجوز.. دي مين اللي أمها داعية عليها دي يا ربي؟.

- اللي تشوفه وتؤمر بيه يا حاج..حروح أطمّن عليه!!

- تطمني على إيه وعلى مين؟ تلاقيه متسلي مع إزازته واللي زاد وغطى كمان الرجالة اللي اتشرحت دي، مش ولاد ناس دول؟ وجيرانا وحبايبنا

وصبيانا ومنهم صبيان معلمين أعرفهم ولا أرزقيه، المرادي كبيرة يا "وجيدة" وماحدش عرف يلم من وراه ماحدش عرف يحلق عليه في السوق، وعلى كدا عدت على خير وماحدش مات.. الواد الصبي بتاع القهوة محجوز لسه فى المستشفى.. والحاج "سعد" طالب يقعد معايا بكره، كبرت أنا عالأسف ووبري اتنحل فلوس.

- ادعيله يا حاج.

- إياكش "ربنا ياخده"

لم ترد "وجيدة" على الدعوة ولا الجملة التى قالها الحاج «صالح» بحرقة، ولكن دموعها كانت تملأ وجهها في نظرة أخيرة من على باب الغرفة.. "منعم" ملقى على الأرض، ينام وبيده اليسرى الزجاجة، لم ينم "منعم" على سريره منذ زمن، تطيل النظر فيه وهو ملقى على الأرض، تسحب غطاءً من سريره المنسق باستمرار.. يفتح عينًا واحدة من عينيه بإجهاد شديد ليقول بصوته الأجش المعتاد..

- منعم ما بيتغطاش.

في الصباح...

- تروح وترجع من شغلك بألف سلامة يا حاج ربنا يعدي النهاردة على خير.

- زي ما اتفقت معاك بالظبط، إياك تهيني نفسك معاه.

- حاضر يا حاج ماتقلقش..

- أما ألحق أنزل بقي أحسن أنا فعلاً مش عاوز أشوفه.

بقايا الألم في جسد هذا "الثور" وصداع رهيب غير معتاد عليه يقوم من على الأرض بصوته المعهود..

- "وجيدة"

لم يقل ماما أبدًا، قلبه غليظ، لا يحب "وجيدة" ولا يقسو عليها تركيبة غريبة!!! داخل هذا الكائن..

- عاوز أكل.. أااكل.. الغدا.

- حاضر حأكلك وحعملك كل اللي إنت عاوزه بس إسمعني.

- كلام مش عاوز!!

- لا كلام على هواك يا منعم.. شوف بقى.. أمك كبرت يا منعم وحزينة وعاوزة تشوف أمها جدتك يعنى اللي في البلد!

- بلد إيه يا "وجيدة"؟

- الشرقية يا "منعم".

- طب ما تشوفيها يا ولية... إوعي يكون الراجل دا حايشك..؟

- لا تعال أنت وديني.

- وهو ميودكيش ليه؟ بس فالحلي يمشي "سمرا".

- يا بني جدتك بتموت وعاوزة تشوفنا ونفسها... تشوفك ولو مرة.

- هاتي الأكل يا وجيدة.. وماله يا "وجيدة" أوديك، والراجل اللي حيروح معانا ده يحله مني ويحلني منه، مالوش دعوة بيا.

- حاضر يا ابني.

كان الرد السلس "لمنعم" أغرب مما تتصور "وجيدة" هي تعلم أنه لا يرضى بشئ ولا يخضع لشئ، ولكن يبدو أن القدر قال كلمته "على لسان منعم".. ومن جهة أخري ما حدث بالأمس يستحق تجميد النشاط هذه الفترة فقط والكل يطلب الابتعاد ولو لفترة.

"منعم" كائن حر، هو لا يحسب الحسابات لحريته، ولا لغضبه، ولا تصرفاته العنيفة التي قد تكلفه الكثير، وهو يعلم ذلك ولكنه لا يعترف أبدًا، حتي ميوله في أعماقه يريد أن يبحث عن من فعل به ذلك، ولكنه لم ينوي البحث عن سمرا.. هي في حياته فقط سمرا، لكن العنف والعشوائية، والعدوانية الرعونة، والهوجائية تسيطر عليه تستحوذ على تفكيره تحرك ميوله، السبب الذي بداخله يحتفظ به ولا يفصح عنه لأحد.

كان يتمنى أن يصبح ضابطًا كي يحمل سلاحًا ويضرب ويطارد.. حياة تستهويه بل حياة يميل لها كليًا، وصفاته الجسدية، وقوته بل وجرأته، و إقدامه وحبه لحياة المجرمين واستكشافها والبحث عنها تجعل في قلبه حوالي عشر رجال ينتظرون إشارة لبدء معركة ما، ولكنه بتفكيره المحدود عين نفسه «ضابطًا بلطجيًا» من الأحرار منذ أن حصل على الإبتدائية.. ظلت «وجيدة» صامتة أمام كل هذه الأحداث فترة طويلة لم تخرج من البيت، ولها فترة أطول لم تسافر إلى الشرقية، وبعدما أتى لها

الحاج صالح بعربة مخصوصة ليسافرا بها سويًا بعدما رتب ميعادًا مع رجال المنطقة وعلى رأسهم الحاج «سعيد» صاحب القهوة التي يعمل بها الصبي الذي وضع إشارة البدء عن دون قصد بجملة سمجة منة كصبي طايش يتسلي بمشاغلة الخادمات، فلن يستطيع صالح السفر بعدما أعدت "وجيدة" حقائب السفر.

كان "منعم" تحت البيت يحاول جاهدًا أن يستفز «حمدي» السائق.

- بقى اسمع.. أنت مش حتسوق.. تترزي جمبي بعد نص ساعة من الطريق من المشوار الأسود دة.

- ليه كدا بس يا معلم "منعم"؟.. أنت عارف الطريق يا معلم؟

- لا.

- أومال أنت هنا ليه يا "طروبش" مش عشان تقول لمعلمك حنمشي إزاي؟

- وبعدين بقي... يا حاج صالح، يا حاج صالح!!!

- أيواا قولي على التيتا من الأول.. أنت بترازيني وبتقرفني وأنا اللي.....

- يا معلم "منعم" وأنا أستجري؟ أنا والله بس حسأله عاوز مني حاجة قبل ما أطلع على الطريق؟

هذه الكلمات المزيفة من "حمدى" أسكتت "منعم"...

- الحاجة نزلت.. اجري ياد شيل من ستك الشنط ديه في السريع.

مال "منعم" على أذن "وجيدة" بصوته الأجش المسموع...

- جرى إيه يا "وجيدة" كل دي شنط؟.. دول كلهم يومين وأفط وأنط أنا ورايا مصالح.

لم ترد عليه وجيدة بالفعل هو لا يعرف ما الذي ينتظره.. وبالفعل بدأوا في التحرك.. في أول نصف ساعة "منعم" صامت تمامًا و "وجيدة" ولكن "حمدي" بالفعل خائف لكي لا يعيد عليه ما عرضه أن يقود السيارة، تقطع "وجيدة" السكوت:

- فاكر يا "منعم" آخر مرة سافرنا فيها مع بعض؟ أنا وأنت كانت إمتي وحصل فيها إيه؟

لم يرد "منعم" عليها قطعًا، ولكن نصف فمه ابتسم.. رد "حمدي"

- إيه اللي حصل يا حجة وكان من إمتي ياتري؟

رد "منعم" و«بحماشة» جدًا:

- جرى إيه ياد حتقطم ولا أروقك؟

وكانت هذه آخر جملة نطق بها "حمدي" حين رأى المطواة تلمع بجانبه يخرجها "منعم" من جانبه الأيمن أكثر من مرة ويدخلها:

- أنت حتصاحبنا إياك.

- لا والله يا معلم "منعم" بس كنت عايز أعرف، بحب اسمع حكاياتك أوي ومش أنا بس دا كل شباب المنطقة.

انتشى "منعم" بالفعل...ولكنه لم يظهر ذلك طبعًا...

- معندكش حاجة تتسمع في "العارابوية" ديه يااااد يا "حمدي"... ما

تشغلنا "بدرية السيد" طلعت فوق السطوح.

- مين بدرية السيد دي يا معلم؟

نطقت "وجيدة":

- حد ميعرفش "بدرية السيد" يا ابنى دي الست "بدارة".. "منعم" بيحب يسمعها عشان الحاج "صالح" زمان كان هويها وكنت بشغلهاله في الكاسيت على طول بس كان بيحب يسمع من بين شواشي الذرة.

بعدما قالت ذلك بصوت مسموع... تذكر "منعم" صوتها تذكر أنهم كانوا بالفعل يشغلون الكاسيت على أغاني "بدرية السيد" باستمرار في البيت.. الست"بدارة" لقب أطلقه عليها عشاقها وجمهورها السكندري.

بعد ساعة على الأكثر أخرج "منعم" من جيبه زجاجة خمر صغيرة همّ بالشرب منها في صمت، ولم يستطع الاستناد على رأسه ميلاً على الكرسي الأمامى في السيارة، فإن جرحه ما زال يؤلمه حتى لو كابر منعم هذا الشعور، وكابر الألم وأخذ يشرب لساعة أخري فى الطريق.

- فات أكتر من نص الطريق.

هذا ما قاله "حمدي" ولم يرد عليه "منعم" حينها، ردت "وجيدة":

- ربنا يسلّم يا "حمدي" يا ابني.

فرغت زجاجة "منعم" على حدود الشرقية.. إنها المرة الأولي بالنسبة له ولم يكن يتصور أبدًا أن يسافر في سيارة مع أمه و"حمدي" أحد رجال الحاج "صالح" الموثوق فيهم الذي حاول "منعم" استفزازه على الأقل

ولو مرة.. إنها هوايته الغير خفية...

- حمدًا لله على السلامة يا حاجّة... ويا معلم "منعم" نورت طريق الشرقية.

- خليك في حالك.

- حاضر.

- هو أنا "قليت" معاك في حاجة يا معلم "منعم" دا أنا مبسوط إني سافرت معاك.

- بس أنا لا.. ما تسكت يا.....

- حاضر.

كل ما يوجهه هذا الكائن من عدوانية غير مبررة كأفكار وفى الردود، التصرفات، «معجون بمية عفاريت» ملئ بالقنابل اليدوية والألغام والانفجارات بدون توقيت، وفي استسلام من "وجيدة" لما يقوله "منعم" ولكن بالنسبة لأول مرة من سنين يسافران سويًا كان ذلك حلمًا بالنسبة لها.. في داخلها تردد "ألف حمد وشكر لك يارب"

- عارفة الطريق للبيت يا حاجّة من هنا.

- عارفة يا "حمدي" يا ابني.. يمين في يمين كدا.. على طول.. إيه دا البيت الكبير اللي علي البحر؟

- بحر؟!

هكذا قال "منعم"..

- مش بقولك حمار!

- يا "منعم" هي الناس هنا بتقول عليه بحر.. وماله بس البيت دا فخيم دا بيتنا يا "منعم" اللي إتربيت فيه.. جدتك هتفرح بيك أوي لما تشوفك.

- بقولك إيه ياد يا "حمدي".. خمس دقائق تكون منزل الشنط وحاططها لستك جوا.

- حاضر.

يتفقد "منعم" البيت الكبير من الخارج وقد أعجبه بالفعل جدًا... هذا البيت على النيل المفترض أنه عتيق، على مساحة لا بأس بها أبدًا حوله زرع ونباتات وعلى النيل بالطبع تتسلل ابتسامة عريضة "لوجيدة" من سنين لم تبتسمها.. طفولتها وشبابها هنا في هذا البيت الذي لم يتغير على الإطلاق تكاد الدموع تفر من عينيها حيث تذكرت الساحة بعيدًا هنا وهناك تقرأ الفاتحة بداخلها لأبيها الرجل الذي عاش روتينًا هادئا ورحل في منتهي الهدوء أيضًا.

تطرق الباب "وجيدة" ويأتي من الداخل صوت ليس عاليًا ولا هامسًا.. منخفضًا.. إنها الحاجة "سعاد" والدة "وجيدة" بالطبع هي لم تستطع القيام لتفتح إنما من فتحت الباب"وديدة"، و"منعم" يراقب من بعيد ليس كعادته لكنه لأول مرة يشعر باختلاف:

- مين يا "وديدة"؟

- دي الست "وجيدة" يا خالتي.

- والنبي صحيح؟.

- أيوة والنبي هي.

لتقول "وديدة":

- حمد الله على السلامة أنا مش مصدقة عنيا.

تضحك ثم تضحك يبدو أنها علي سجيتها والأهم من ذلك أنها سمراء جميلة...

- تعالي يا حبيبة أمك وحشتيني أوي... أنتِ اللي وحشتيني أوي يا «أمي» من غير عياط بس الله يرضي عليك...

تضحك "وديدة" بصوت عال:

- يا "وديدة" أنتِ لسه بتضحكي؟

- أيوة يا ستي فرحانة.

تنظر "وجيدة" والباب مفتوح على مدى البصر، لماذا يقف "منعم"؟ وماذا ينتظر؟..

- "منعم" يا "منعم".

- أيوة جاي أهوه.

وبعد حضن دافيء ملئ بالدموع تتشمم فيه "سعاد" رائحة "وجيدة" ابنتها.. امتلأ حضن "وجيدة" بالدفء، بالابتسامة، بالوحشة، بالتعويض، بالاختزال لسنين تتلمسها سعاد بحنان، برفق وبمواساة، أيضا يقف على

باب البيت الكبير "منعم" ولحظتها تتسمر "وديدة" وتحملق وتبدأ بالضحك مجددًا ولا تستطيع السيطرة على عفويتها:

- مين القمر ده ياخالتي؟ من "الإحتلال الإنجليزي"؟

وتضحك مرة أخري ما يحدث بالنسبة "لمنعم" خيال أو خبل...

- أنتِ مين يا بت ها مين؟ وبتضحكي على إيه؟ حديكي في وشك يا بت وأشوهك.

- ياخرابي على جماله.

- ما تظبطي يا بت بقولك أنتِ مين؟

تضحك مرة أخري بصوت أعلى وفقدت "وديدة" السيطرة تمامًا.. إن "وديدة" بنت بسيطة جدًا ربّتها أم "وجيدة" في البيت الكبير بعدما توفى أبوها جناينى المحافظة، أما والدتها التي كانت تخدم في البيت وربت "وجيدة" أيضا مع الحاجة "سعاد"، لكنها سمراء بالفعل وجميلة لا محالة، وبسيطة جدًا..

- تعال يا "منعم".

هذا ما قالته جدته..

- إوعي يا بت من وشي! وسعي يا بت!

- لا مش حوسع.

- نهار أبوكِ أسود.

- يا خرابي يا ناس على جماله!!!

هنا يفكر "منعم" ألف مرة قبل أن يخرج المطوة من جيبه في أول لقاء بينه وبين جدته يسلم عليها أولًا، ثم لا داعي للعجلة "أن يشوه وجه" وديدة...

- مكتوبالك يا "وديدة".

أزاحها بأعجوبة من طريقه أما الطريقة التي تنظر له بها بسجية وعفوية وضحكات متتالية، وسط ذهول من "منعم" لتنطق جدته...

- بسم الله الرحمن الرحيم... الخالق الناطق "حسن" يا "وجيدة".

وتبدأ "سعاد" في البكاء...

- "حسن" مين يا مجانين؟

يسألهم "منعم"..

- في إيه يا نسوان؟ دا أنا حصورلكم قتيل هنا.

- "حسن" دا يبقي خالك الوحيد اللي ما شفتوش يا "منعم".. اتوفى لما كان عنده "١٥سنة".

- كمااان.

ترد "وديدة" بضحكة غير مناسبة على الإطلاق..

- أيوة والله "سيدي حسن" عاوزة أقول كدا من ساعة ما دخل.

وتضحك.. ترد "سعاد"..

-"اتنيلي" يا "وديدة" هو أنتِ شفتي سيدك "حسن"؟

- شفته في الصور يا خالتي.

وتضحك مجددًا!!

- مش كنت من الإنجليز يا بت؟.. لا مابدهاش.

يخرج لهم "منعم" المطواة مطيحًا بهذا الهراء.. لا تراها بوضوح السيدة الكبيرة أما "وجيدة" فتضحك بالفعل لأول مرة من قلبها، كاد الموقف أن يكون خيالاً بالنسبة لها هي الآن لا تخاف من "منعم" حقًا... تهم "وديدة" لقلع ما تلبسه في رجلها ومنديل شعرها وبسرعة.. وتقول بضحكة:

- الله أكبر يا حبيبي يا سيدي "الدسوقي" قولتلك حلو ومأحلل، تبعت لي أصفر في أحمر دا "شمعي قايد ما ينطفي".

يندهش منعم!!! ويتأكد الآن بداخله الشك أن هذه "الوديدة" مجنونة رسمي...

- والنبي لا تتجوزني بقى يا سيدي "حسن" ده أنا استنيتك كتير.

- أتجوز مين؟ واستنيتى مين؟ يا مجنونة يا مخبولة يا فاجرة.

لا يصدق "منعم" ما يراه وما يحدث حوله...

- الله أكبر الله أكبر.

تكبر "وديدة" وفجأة تزرغد "وديدة".. يسأل منعم وجيدة:

- ديتها إيه البت دي؟.. "منعم" مابيشوهش مجانين!!.. ما تقولي حاجة يا ولية يا كبيرة أنتِ والله لصورلكم قتيل هنا.

لترد وديدة:

- حقك ويحقلك يا سيدي "حسن" يا سيدي وتاج رأسي، يالهوي يا جمالك يالهوي علي طعامتك..

كادت أن تسكر أوحتى تدوخ "وديدة" من جمال منعم.. وديدة ليس لها حل، انتظرته كثيرًا بالفعل ومن كثرة دعاها بالزواج، فهذه "الوديدة" البسيطة تدعو كل ليلة... ولكنها تضحك ثم تضحك وغصب عن الجميع يضحك.. والغريب يضحك منعم لأول مرة معذور فما فعلته وديدة كان بالفعل خيالاً، ما وراء العقل إنها السجية في الشرقية.

الآن تهم "وجيدة" لأذن ابنها:

- ها إيه رأيك؟ قسمًا بالله يا ابنى ما في واحدة حتتحملك غير دي، ولا حتحبك، ولا حتربيك غير دي، ولا حتخلص القديم والجديد منك ومش حتخلف بردو غير من دى، إيه فكرك بقى؟

- ددييه!! دى مجنونة!!

- لا اسم الله على عقلك أنت!!

- خالتي "وجيدة".. سيدى "حسن" بيشتغل إيه؟

تهم "وجيدة" بالإجابة بسرعة قبل أن ينطق منعم

- ماسك محلاتنا فى إسكندرية بتاعة أبوه يا "وديدة" وملو هدومه أهو.

يشعر "منعم" منها مجددًا بالخبل ويتملك كل أوصاله يبدو أن الخمر الذى شربه في الطريق كان مغشوشًا! ولكنه يرد لأول مرة بضحكة تملأ وجهه وتزيده جمالًا على جماله...

- سيدك حسن بيشتغل "بلطجى عطارة" يا بنت المجانين كلهم.

- يا صلاة النبي يا صلاة النبي.

- ما تظبطي يا بت!!

تضحك "وديدة"..

- والنبي سيدى "حسن" دا بطعم "الكحك".

ينظر "منعم" لوجيدة بابتسامة غير معهودة منه، لأول مرة تغازله بنت، لأول مرة يجرب هذا الشعور يسعد به بالتأكيد، ينتشي به، تشبع صولاته وجولاته، بل وبطولاته في البلطجة، ليقول في نفسه ثم يقول لوجيدة:

- أحلى حاجة إنها سمرا وبت كلب مجنونة على الآخر بس هجوزها.

البقاء

أعترف بأن غرفتي تتشابه مع المجاذيب في مقتنياتهم فقط.. إننا نجدهم في الشوارع يحتفظون بأشياء بالنسبة لنا لا جدوى منها، وبالنسبة لهم كل حياتهم وتخصهم، أصبحت هويتهم إذا خانهم التعبير عن أنفسهم حقًا مساكين.

نجدهم يحبونها جدًا، ولا أحد يستطيع أن يقترب منها أو يجرؤ على أخذها منهم ولا حتى استعارتها، لا على سبيل المزح ولا على سبيل التفحص.. وتسريبًا لسر آخر.. واعترافًا مني بأنني أحتفظ بدولاب فى غرفتي عمره حوالي مائة عام من الرحيل، بدون مبالغة مائة عام من الفقد، اعتبرته ميراثًا في شرع الحنين و أوراقًا تخص «علي».. مالت إلى الإصفرار بالطبع، إنها عوامل الزمن وعليّ تقبّل ذلك، وبطاقته القديمة الورقية، يسعدني فيها فصيلة دمه المعطاءة مثله تمامًا، وتاريخ ميلاده وكأنني أذكّر نفسي بما لا أنساه، ورسائل من أصدقاء الإبتدائى عام ١٩٨٧ بداخلها صور كثيرة كلها لطيفة، تحمل تفاصيلًا، بداخل التفاصيل كلها تخص الحنيين وقُبل بريئة على الجبين، وتابلوه عتيق كانت ورقة أنيقة ثم تحولت إلى تابلوه مكتوب عليها «يا الله تجاوز فإنك وحدك الحليم الكريم»، غير أن الجملة تعجبني.. أنام وأسترخي تحتها.. تاريخها مبهر ١٩١٩.. ميلاد «حبيبة شعراوى أصغر أخوات «علي».. آخرالعنقود.. سلامًا على روحها.. أهدته إليّ قبل وفاتها بسنة.. و«تيشيرت» من

الإعدادية وبلوفر صوف «هاند ميد» بالطبع من صنع «ماريا»، وكأنه يدفئ قلبك إذا شعرت بالبرد فى الليالي الشتوية الطويلة، وقفل أسود صغير على شكل قلب، كل فترة أقوم بفتحه وقفله ثانية بواسطة مفتاحه الأنيق، وأندهش أنه ما زال يعمل حتى الآن بعد كل هذه السنوات، وبالطبع أرقام تليفونات مصيف بيانكى ١٩٩٥ بعناوينها في القاهرة، وكأنني سأزور رفقاء المصيف ثانية نلعب ونلهو ونضحك من قلوبنا، فكنا لانعرف إلا الضحك، نشاهد الشروق سويًا وميلاد الأمل كل يوم، ونتذكر الغروب معا قبل العودة للقاهرة، وكأننى على ميعاد آخر معهم، أما دموعنا وقت فراقنا، كانت تبلل رمال البحر كلها، على الرغم من أن كل منا يعلم أن اللقاء نصيب، ويعلم أننا مجرد مصطافين لن يجمعنا معًا لقاء ثانٍ، يا لها من أيام وليالٍ.. وما أنقاها وما أروعها أحاسيس سواء الإرتباط بالأشخاص أو بالأماكن وبالانطلاق والحب والحرية والبراءة.. محلاها العفوية، أم أن كل هذا بداخل نفوسنا الرقيقة كان مجرد الإصرار والبقاء على الوعود ليس أكثر.

حتى أن أبطال تلك الروائع معظمهم أصبحوا ذكرى، حكاية، عناوين، والموجع في الأمر أنى قد علمت بالصدفة البحتة.. قصيرة هي الأيام، أما «المصحف المفسر» النادر، يلازمني أينما ذهبت وبالأخص في السفر، مكتوب في أولى صفحاته «وهبة لا يجوز بيعها» وكلما زال حبر هذه الكلمات أعدت كتابتها ثانية بحبر مختلف فقط في اللون، ولطالما

سألت نفسي هل مالك العربة القديم تركه لي متعمدًا أم أنه نساه فعلًا بداخلها.. وأجندة أنيقة أهدانيها «ريمون» صديقي الصدوق أصبحت أدّون فيها تفاسير بعض الآيات القرآنية ، ومجموعة «قصاقيص» ورق كثيرة وعتيقة، لها ذكريات محببة إلى قلبى باتت تأخد حيز علبة الجواهرجي، ومجموعة آيات قرآنية مكتوبة وجدتها بالصدفة البحتة في الطرقات، أزلت الغبار من على بعضها واقتنيتها.. إما وقت سؤالي لله أو في حاجتى الدائمة إليه أو في وقت ضيق، وألبوم صور أتحفظ عليه وكأنه حرز من قبل النيابة الخاصة وليست العامة، أحيانًا كثيرة أخشى منه، وأحيانًا أخشى عليه، أخشى حتى أن أجاوره في بعض الليالي لكي لا أشرد، أغوص بداخل تفاصيله بالأيام، ولكي لا أتذكر حقًا أن كل هذه الأرواح أصبحت مجرد صور أتحسسها بأناملي ببطء شديد، وتنتابنى نوبات الحب والوحشة والحنين، أما ربع الدينار العملة النحاسية العتيقة الخاصة جدا المكتوب عليها «منذ عهد الرسول» جملة كفيلة في حد ذاتها الموقرة بالهيبة أو بالبحث والتقصي.. كل ما أعرفه أنها بالطبع تحمل حكاية أودّ أن أعرفها، لكني حتى الآن لم أعرفها وسأقصها عليكم إذا عرفتها.

أما ما يضحكني من قلبي وسط كل هذا بالفعل هو الحذاء الأحمر محلاه متناهي الصغر.. قالت لي جدتى عندما اقتنيته من الشقة القديمة ولازمني لشقتي الجديدة، أنه أول حذاء ارتديته عندما كنت طفلة

صغيرة أتعلم السير، بالكاد الآن أستطيع أن أدخل فيه إصبعين من يدى بصعوبة وتنتابني ضحكات متتالية بداخلي ممتزجة بالبراءة غير المقصودة، وكلما أدرت وجهي في أركان غرفتي أتفقدها «بسيمترية» معهودة لم أكن أتصور يومًا أن أمكث فيها كل ذلك الوقت..

أرى ضيفي الجديد لم يحصل على لقب «صديقي» حتى الآن.. إنه حقًا كائن مسالم لأبعد الحدود.. لقد أجهدني هذا العنكبوت الصغير لكنني أرأف بحالة تلك المسكين عند تنظيف الغرفة، لا أريد حقًا أن أقتله!.. إن القتل خطيئة لا تغتفر منذ العقود الأولى وحتى آخر الزمان، لكنه بات يحيرني في أوامره، ولن أستطيع حتى أن ألبي رغباتك، وطموحاتك المتتالية السريعة كخطواتك أيها الشقي في نسيجك سواء بتغيير لون الطلاء أو تغيير الستائر.. أما بالنسبة لتغيير الدولاب فهذا الأمر يبدو مستحيلًا.

بات يصبرني عنكبوتي أحيانًا في حديثه معى، على الهجران والخذلان وأحيانًا عن غياب شعاع الأمل، وبات يحثّني على الترجي والتمني وميلاد الوفاء وغياب الأسى، وأحيانًا يسرد لى مقتطفات عن أهمية العمل.. أما أنا فأعده ببقائه، ومن وقتها أصبح يتنعّم بالشمس في الصباح حين أفتح نافذتي على مصرعيها، وبات ينزعج المدلل من نور غرفتي، طالبًا مني النوم والاسترخاء متعشمًا هو فقط في «البقاء».

أوصاف جمال متجددة

السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا «ذات النورين» ويا «أم العواجز» ويا «كريمة الدارين» ويا «درة أهل البيت».. إن «الله» هو حمى العجائز وإلتجاء المحتاجين، ففى حمى «المـجيب حقًا جلاله مهـيـب وحضرة أهل البيت الكل هنا يخشع يخضع أو يخنع بل الكل هنا يتمنى و يطلب من الله».. هنا لا حرمان، ولا ظلم، ولا كتمان، كيف لمن يحب الله عز وجل أن يحرم أو يظلم ففى دار «رد المـــظالم» تجول «مريم» بروحها باكية من خشية الله، محبة ذائبة فى أوصاف جماله، وأوصاف جمال أهل البيت هنا تجسدوا أمامها كما قرأت عنهم وتجسدت حبيبتها «السيدة نفيسة» « نفيسة العلم» والعلوم والمعرفة تذكرت قولها لوالى مصر «ابن طولون» فى هذة الحقبة وكيف أنها ردته عن ظلمه...

أهنا «حبيبتى» باتت تبكى، تصلى، تقرأ القرآن، تتلو صلوات خاصة، وتتلو تسابيح وأوراد، لا يعلم عددها ولا يعلم عنها حتى الآن غير الله سبحانه وتعالى...

أهنا باتت تتهجد؟ وتناجى بارئها في الأسحار؟ مرة تلو الأخرى..أهنا قابلت الشافعي؟..وصلّت عليه صلاة الجنازة كما أوصى ...

ما أجمل كل حرف فى سيرة السيدة نفسية.. هنا «مريم» شعرت أن الخشوع يتجسد فى صوت ورقة ويترقق بل فقط عليك أن تسجد

وتقترب...

أهنا أوصت أن تدفن وهنا حفرت قبرها بيديها، أهنا دعت أن يتوفاها الله صائمة؟

«فالنفيسة» أول سماتها، بلاغة اللسان وفصاحته، ورجاحة العقل، والشجاعة، والإقدام، هنا العلم والمعرفة.. أهنا يكمن سر الخاشعين، المحبين، المشتاقين؟

هنا يا سادة.. السابقون، المقربون، الطيبون، «أهنا القليل بالكثير».. هنا النفحات، والبركات، والسلام النفسي، والسلامات، فكل من هو هنا «وزار المقام كانة شعر أن حفيدة محمد عليه الصلاة والسلام، ترد السلام».

لم تقبل أبدًا «السيدة نفيسة» أن يأتي لها أحد محملاً بهوان، أو ضيق أو حتى ظلم، أو يحمل مالا تطيق نفسه به، أو حتى أن تحمل أسئلة بلا إجابات؟.. بل إن هنا رحلة البحث عن الحقيقة الروحانية والخشوع والنفحات والبركات...

ومن أكون «كمريم»؟... لأصف أو أقول عن «كريمة الدارين»، ودرة أهل البيت، وأصف روحها، وهي «الريحانة».. هي حمى وملجأ من لا يستطع تدبر ثمن تذكرة طائرة لشبة الجزيرة العربية، بل الملجأ لفقراء لا يستطيعون تحمل تكلفة الإتيان بوجبة ساخنة فى الشتاء ليسدوا به جوع لا يعلم مدته إلا الله وحده عز وجل.

في «المحروسة» أيضًا تجد في ساحات معينة كساحات أهل البيت، مليئة بالبركة والنفحات بلا اجتهادات، ففي الساحات لا يوجد شروط ولا حتى مسلّمات، ليس أمامك هنا إلا أن تقف في أدب أيضًا أمام الضريح «تسلم على حفيدة سر الكون وسيدة الذي أوحد الله روحه... هنا تتشمم رائحة الزهور والريحان هنا يهلل القلب، بل يكاد ينخلع من فرحة الزيارة أملًا في اللقاء.. وطمعًا في المجاورة.

تأتي «مريم» وكأنها في موكب اليوم بسيارة صديق لها، تتمني من داخلها أن تسعد بأنسها «النفيسة».

تستحق أن تترك لها كل ما ورائها لتحظى بساعات من النفحات وكما هادت «مريم» محبي «النفيسة» في الساحة بالخارج، هاداها رجل لا تعرفه، مدّت له يدها لتعطيه هديته فرفض وأبى! وأخرج لها من جيبه هو هدية لها جلد منمق لونه أزرق مطابق للون طرحتها، فبكت وبكى الرجل الذى لا تعرفه واختفى، وبعدما غاب عن العيون يردد وتسمعه... «يا الله يا أكرم الأكرمين وأرحم الأرحمين وأجود الأجودين وألطف اللطفاء» هكذا قال «الصالح» الذى ظهر لمريم، من أين لا تعلم واختفى كما بدا، ليهمس قلبها مرتعشًا «ربنا إنك وحدك أجمل الأجملين...

ارتدت «مريم» اللون الأزرق بالفطرة بداخلها، كانت تتسائل أي لون كانت تحبه السيدة نفسية؟ أم إنها المخشوشنة، الزاهدة...أتحب

الأخضر مثلًا مثل جدها محمد عليه الصلاة وأفضل السلام...

«ففي سكون الليل».. قبل صلاة الفجر بساعة.. إنه وقت الأسحار والنجوم اليوم في السماء تتلالأ وفي حضور للشاهدين مهيب والساحة ليست مزدحمة... هنالك جمال لليوم لم يسبقه جمال ونور لم تشهده "مريم" قبل ذلك وقرآن الفجر هنا وهناك في كل مكان مشهود...

تبحث «مريم» بعينيها داخل المسجد عن سائل عفيف كريم الكرامة.. فهل من مجيب؟.. كل ذلك يدور بداخلها في آن واحد، فالحمد لله الذي جعل من الملائكة نورًا ونورانية، هنا لا تعرف كم مرة لابد وأن نلقى السلام اللائق أو الواجب، بل هنا يلجم اللسان! وتقشعر الأبدان! وتلجم منك الدعوة.. لكن الدعوة محلها القلب.. وما أدراك ما القلب.. يكاد أن ينخلع من الروحانيات والنفحات والنورانيات، بل من أجمل وأرق الدعوات المستجابة بإذن الرحمن.

تغوص «مريم» بالجامع الوسطى، تصلى وتتأمل، و تسمع الإبتهالات وتراقب، فتشعر بقلبها أن كل من سأل باللسان.. باتت "تطبطب" على روحه هذه الروح الخفية وعلى قلبه وعلى جسده وعلى أكتافه وكأنها تمحو الهموم.

هنا رجال ونساء وشيوخ، بل وأطفال.. إنها الجموع والتسابق للجلوس حول المقام لتحتضننا هى بروحها الثمينة النفيسة الغالية، فتتسائل مريم؟ ما كل هذه الروحانيات؟.. كيف سيكون إحساسها

وشعورها عند زيارة نبي الله محمد وكيف ستكون الروحانيات بالحرم وفى الأراضي المقدسة؟.. كيف لقلبها أن يحتمل كل هذا الحب؟ والحنان والإمتنان والراحة والسعادة والشعور بأنك في وسع القلب وما أوسع قلبك "النفيس".

ربنا هب لي قوة الروح كي لا أبكي بصوت مسموع.. هنا جمالاً على جمال.. بل أوصاف الجمال متجددة.. على بعد من "مريم" بأكثر من خطوة تشعر شعورًا غريبًا مهابًا ولا تعرف تحديده بداخلها، جهاز رادار يحدد إتجاهات الحب الروحي، ولكن هذه المرة هيبة على هيبة.

هنا إمراة عجوز تصل إليها "مريم" تسند رأسها على "متكأ العجائز" بداخل الجامع لكي تستريح ما بين فواصل القراءة في الذكر الحكيم.

سمراء البشرة، بيضاء القلب بل يكاد لون بياض قلبها أن يتلألأ ويظهر لك في بيت الله، كلما اقتربت منها تشعر بمجال رهيب بل بشعور مهيب.

تقدّمت "مريم" للسيدة العجوز وهي تقرأ في كتاب الله فى «حضرة خاصة» لها و لله فقط لتسألها «مريم» في أدب وخجل.. قالت بصوت خافت:

- صدق الله العظيم.. نعم يا بنتى!

- مين حضرتك؟

ردت عليها في هدوء وابتسامة..

- أنا يا بنتي أمة الله وأحب الله جدًا.. وأحب نفيسة العلم والعلوم جدًا وأقطن بجانبها.

يدعو لها قلب «مريم» الصغير، الذى بات لا يحتمل ما تقوله هذه السيدة من كلمات بسيطة صادقة حقيقية.. هذه السيدة تبدو عادية، لكنها بالحق والحق أقول أنها غير عادية على الإطلاق، لم تحتمل "مريم" هذه الكلمات البسيطة من السيدة أمامها ولا تستطيع أن تحدد السبب.. فبكت!

فردت السمراء..

- ربي وحده يرد الظلم عنك.

ردت «مريم» على استحياء..

- أنا لم أُظلَم والحمد لله، بل إني أبكي في بيت الله من هيبته و بالأخص فرحتي العارمة أني هنا، بل وخشية من لقاء الله أيضًا، وأبكانى أكثر كلامك، بل ويبكيني سعادة لقائك يا «أمي».

تندهش منها السيدة العجوز! لتسألها مرة ثانية..

- أنتِ يا بنتي سعيدة بلقائي أنا؟

هذه السيدة لم تسأل "مريم" عن أي شئ سواء نقود أو حتى أي أسئلة خاصة مثل كم عمرك؟.. أمتزوجة أم لا؟.. لا ثرثرة هنا ولا لغو ولا فضول.. هكذا «مقعد ومتكأ العجائز»، عند أم العجائز حقًا.. لم تجد «مريم» الكلمات المناسبة لفتح حديث آخر، بل وجدت نفسها بشغف

تقول:

- احكي لي عن نفسك يا أمي أكثر؟

- أنا يا بنتي أعيش لما بعد 77 سنة، وإن الزمن لجبار يا بنتي، أنا أحب زوجي جدًا، وهو يكبرني عن عمرى بحوالي أربع أو خمس سنوات.. آتي إلى هنا كل يوم، قبل صلاة الفجر، أجلس في الساحة حتى يفتحوا لي الأبواب أسلّم على حبيبتي وأجلس لقراءة القرآن.. أحيانًا أستمع هنا إلى إبتهالات، أو حتى تواشيح، وأجلس هناك وأحيانًا أستمع إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

ترد عليها "مريم" في سرها:

- مشهودة بإذن الله ومأجورة يا حبيبتي.

لترد "مريم" بصوت مسموع:

- أنتِ لا تتركين الله فلا يتركك!

لتقول "السمراء" ثانية بصوت خفيض:

- بل هو الذي لا يتركني يا بنتى، لأني عندما مرضت بتّ أسمع كل يوم ما يدور هنا بالكامل!! طول فترة مرضي.

قالتها بالفطرة لا أكثر ولا أقل.. هنالك وجم وجه «مريم» من الحالة عمومًا لكنها لم تندهش منها ولا من قولها ولا من قربها.. لتستكمل السمراء:

- كيف لك أنتِ في عمرك الصغير يا صغيرة قلبك جميل ورقيق ودموعك

في بيوت الله حاضرة في مهابة جمال.

ترد عليها "مريم":

- وهل يتخير قلبي عن قلبك؟

هزّت رأسها العجوز بإيماءة تبدو بها سعيدة لتستكمل «مريم»:

- قولي لي يا أمي كيف أصبح مثلك غنية؟

لترد عليها:

- وهل أبدو غنية يا صغيرتي؟

تعلم "مريم" أنها أبسط من البساطة ...

- نعم يا أمي يبدو عليك وعلى قلبك كل الغنى!!!

تسترسل..

- إن «الله» هنا فقط هو الغني.

- صدقت.

قالها قلب «مريم»..

- ولكني إن بدوت غنية، فالله وحده رأس مالي..لكني غنية بالفعل أحصل على معاش شئون إجتماعية حوالي 370 جنيهًا نأخذهم أنا وزوجي ونعيش بهم ونرتضي وسعداء.. ألف شكر وألف حمد لك يا رب العالمين.. ولا أطلب شيئًا من أحد إن الله يحبني وأنا أحبه وكفى.

لتقول «مريم» بداخلها «ربنا يا أنيس المنفردين ويا حبيب العابدين يا ملاذ التائبين».

لتسال نفسها "مريم" هل هذه السيدة البسيطة نموذجًا حيًا للرضا للصبر، للعفة بل للمثابرة أيضًا، وأهم ما تراه هنا بل الدرس الأوحد «الرضا»، لكن النموذج أمامها حقيقي بدرجة مهيبة لا شئ في الدنيا يساوي أمام ما تقوله بصدق هذه البسيطة.. أهذه مما قال الله عنهم سبحانه وتعالى ببديع وصفه «تحسبهم أغنياء من التعفف»؟.. نعم هذه السيدة من أغنياء القوم المتعففين غير أنها تذوب في رحابة.. تعيش تعبد الله، بل تعشقه وتعشق كتابه.. هؤلاء هم من يأتنسون بأهل البيت الكرام، هم من يتزاورون ولا يزايدون عما يفعلون.. هم «السابقون السابقون.. أولئك المقربون فى جنات النعيم»..

هذه السيدة «لمريم» ما هي إلا نفحة تصيب القلب.. حينها قالت «مريم» للسيدة السمراء:

- أستسمحك يا أمي أن تفتحي كتاب الله على صفحة ٣٠٥.

لتضع لها «مريم» باكية داعية وبسرعة قبل أن تنطق عملة ورقية من نقود الدنيا.. لتبكى «مريم» وتبكي هنا السمراء.. «مريم» بداخلها تود أن تضع لها كل النقود بالدنيا.. وكأنها تقول لكل الناس يا ليتكم كنتم هنا بجوارى ويا ليتكم رأيتم ما أرى وشعرتم بما شعرت ويا ليتنا تصبنا، نفحات،وبركات، وتأتينا خواطر كما شعرت أنا هنا.. ويا ليتكم كنتم هنا «لتستوعبوا الرضا» عندما يتجسد أمامكم كما تجسدت أمامى.. لتفاجأ السيدة السمراء مرة أخرى «مريم»!!!

- ما هذا يا صغيرتى؟.. أنا لم أطلب شيئًا ولا حتى أريد شيئا.. من فضلك اقتسمي هذه العملة مع شخص أكثر احتياجًا مني.. من فضلك.

وتربّت على يد «مريم» الصغيرة.. لم ترد عليها "مريم" إلا بكل أدب فالأدب هنا واجب لها.. إن قلب هذه العجوز لم يكبر بعد من الجمال ولم يشخ معها أيضًا.. أمن الإيمان يا ترى؟.. لتقول «مريم»:

- أتعرفين يا أمي من منا المحتاج هنا.. أنا المحتاجة هنا، بل المحتاجة هنا جدًا.. أنا السائلة.

تتركها «مريم» فهي لا تستطيع أن تتحمل بكاءً أكثر من ذلك، تتذكر صديقها الذي أتت معه، لا تستطيع أن تنسى ما قاله قبل أن يدخلا ويتفرقا، بل استحضرته الآن وكأن الجملة ترن بداخلها...

«"مريم" أنا لست سعيدًا على الإطلاق! ولا حتى أشعر بأى طعم ولا بأى لذة لهذخه الدنيا الغريبة، وبالرغم كوني أعمل في لندن ومصر والكويت ولدي أكثر من شركة ومبالغ باهضة بالبنوك، بل إن سيارتي هذه مثلاً التي أقودها تصل إلى ما يربو المليون جنيه مثلاً ولكني لست سعيدًا بالمرة.. ألا تعرفين وصفة للسعادة شافية؟»

ما هذا التفاوت؟ هو مهموم حزين وغير سعيد.. لم تجد صديقها راضيًا.. ولم تجده ناقمًا.. لكنها حسمت شعورها مع هذه البسيطة على الفور بالرضا ونور القلب.. ولا تستطع أن تقول إلا أن الرضا نادر الوجود حين تجده تراه ذهبيًا، ياقوتيًا، مرجانيًا.. حتى العملة يا رب قالت لها

اقتسميها مع شخص آخر، ألا يوجد لديكِ ذرة طمع أيتها الجميلة؟ كل ذلك يدور داخل «مريم» هنا بعدما استمعت "مريم" لسورة «مريم» الكريمة بداخل الجامع.

أذّن بالفعل الأذان الأول لصلاة الفجر فشعرت «مريم» بالجوع الشديد وفجأة وهي تجلس بمكانها تجد السيدة السمراء بجانبها لتسألها:

- هل أنتِ جائعة يا صغيرتي؟

تتلجلج "مريم" فى الإجابة ولكنها ترد فى ذهول:

- نعم.

تضع لها السيدة لقمة من العيش مغموسة بسكر في فمها...

- كليها يا صغيرتي! وسأعطيك لقمتين أخرتين!!!

من أين أتت هذه السيدة بالعيش والسكر؟ وكيف عرفت أنها جائعة؟.. ما الذي يحدث هنا؟ ولماذا أشبعتها جدًا الثلاث لقيمات بالسكر؟ ولما يبدو طعمهم مختلفًا وإحساسهم أكثر اختلافًا.. «أطعمتها واختفت».. وبعد الصلاة بحثت عنها "مريم" لتودعها فلم تجدها، فما عسانا أن نقول هنا بعدما صلّى الإمام بسورة «مريم» الكريمة.. سلامًا سلامًا على «مريم العذراء أم النور وأم النعم وسيدة نساء الجنة»... وسلامًا على "السيدة نفيسة" أم العجائز.. وما أجملها ليلة.

عندما ركبت «مريم» السيارة مع صديقها في طريقهما للعودة بعد

هذه الرحلة القصيرة التي تمنّت بداخلها أن تطول قدر المستطاع.. قالت لصديقها:

- سألتني قبل ما ندخل الجامع عن وصفة للسعادة صح؟.. عندى إجابة ووصية مختلفة في كلمة واحدة «الرضا».. وما تحاولش تغيب عن السيدة نفيسة كتير.. تعال قضي وقت أطول وصلّى في الجامع وتأمل أكتر.

ثم مالت «مريم» على شباك السيارة الفخمة وفتحت شباكها لتستمتع بالهواء ونسمات ما بعد الفجر وتتمتع بحلاوة شروق الشمس وتردد في سرها جملة من أوراد «حبيبتها»...

«كم حاربتني شدة بجيشها، فضاق صدرى من لقائها وانزعج، حتى إذا أيست من زواله.. جائتني الألطاف تسعى بالفرج»

ترددها بسرها، وتبتسم ويخيّم الصمت بينهما، وتشرد في المشاهد التي رأتها هنا وبالداخل... كما يدور بخاطرها سؤال...

كيف لي أن أصف الجمال ؟..

«أما هنا.. فأوصاف الجمال متـــجددة»

الفهرس

رسائل علي.....5

تلك الفريسكا.....10

حبل الوصال.....35

أربعون دقيقة.....59

أطالت النظر في التابلوه.....67

سهم كيوبيد 2020.....77

عانقيني.....91

الدرج.....96

منعم وودیدة.....106

البقاء.....135

أوصاف جمال متجددة.....139

لو عاوز تحقق حلمك وتنشر إبداعك وكل الناس
تقراه سواء شعر .. قصة .. رواية .. كتاب
اتواصل معانا وساعدنا نحقق معاك حلمك وحلمنا
إن كل مبدع يوصّل للناس إبداعه..

يوريكـــــــــا

حلّق خارج السرب

01288627690

eureka4publishing@gmail.com